المفارقة العدمية الخلقية عند نيتشه

رؤية نقدية جديدة

د. سناء عبد الحميد خضر

أستاذ فلسفة القيم المساعد

كلية الآداب – قنا

جامعة جنوب الوادي

يقول أ.م سيوران :
"أهم بكثير من الأسلوب إيقاع حضارتنا ذاته، ذلك الإيقاع الذي يقوم على احترام التمرد، والذي يقال معه إن قيمة الفرد بالنسبة لنا تقاس بمدى تمرده على الأشياء"

المقدمة

نيتشه Nietzche Friedrich Wilhelm

(بروسيا ١٨٤٤-١٩٠٠)

- كان نيتشه ومازال مثار جدل كبير وعلامات استفهام لا تنتهي، وهذا يرجع إلى آرائه الصادمة من ناحية، وفكره غير التقليدي من ناحية أخرى. فقد نسي البعض أو تناسى أن كل فيلسوف ما هو إلا مرآة نفسه ومرجعية عصره .. ونيتشه مفكر استثنائي exception thinker – إن صح التعبير – ولذلك يجب التعامل معه ومع أفكاره برؤية استثنائية.
- فقد غرد خارج السرب فاعتبروه شاذًا أو غريبًا unusual ولكنه في الحقيقة رفض السير وراء القطيع وأراد أن يكون نفسه .. فقد كانت فلسفته هي العيش طوعًا فوق الجليد وفوق الجبال الشاهقة، وكانت البحث عن كل ما هو غريب وإشكالي من زوايا الإبداع والتمرد وثورة العقل .. فقد تعامل نيتشه بمنطق الدهشة Logic of astonistment في فلسفته الأخلاقية، وقد أثار فضولنا لمعرفة كنه العقلية النيتشوية في إطارها الأخلاقي وأبعادها المتجددة.
- ونيتشه باعتباره فيلسوفًا غير تقليدي فهو لا يقدم لنا أفكارًا تقليدية، بل قدم ما هو مبتكر وأصيل، لكنه في الوقت نفسه لم يكن خارج الزمان، بل كان معايشًا للمجتمع، والثقافة، والأخلاق، والسياسة، والدين، والفن، إنه المثقف العضوي organic cultured – إن صح التعبير.

ولذلك فإن الذات النيتشوية – عندنا – تمثل دراما الأنا وتراجيديا الوجود .. إن نيتشه يكشف لنا الستار عن إنسانية جديدة برؤية مغايرة للواقع المألوف. كما أنه إن نيتشه يحمل متعة الاكتشاف الأخلاقي، إنه النور الصادم والفكرة المتمردة .. وإذا كان التمرد Muting هو الفرار من الحياة، إلا أننا نتصوره عند نيتشه هو الارتماء في أحضان الحياه وحب المصير.

- نيتشه ضد إطفاء أنوار الحياة في مقابل النظر للخلف، حيث ظلمات الكهوف وأشباح ماضٍ مرعب ومخيف يذكرنا بالموتى، ويصر على أن ندفن معهم، رغم أننا نتنفس خارج القبور، (إن في الموت لعظمة، ولكنه موتي أنا وليس موت الآخرين).. ولذلك فإننا نتصور نيتشه يمشي دائما، ويحمل في يده مطرقته، يحطم بها رؤوس التقليدي، والبائد، ورائحة الماضي السحيق، وخاصة إذا كان هذا الماضي مظلمً وكئيبًا فاقدًا للحيوية.

- نيتشه يمتلك الجرأة على كسر عنق الماضي المليء بالمتناقضات الفجة، والتخلف اللذايِّن يسعيان إلى قبول الشيء ورفضه، أو مخالفة منطق العقل .. وليس هذا من منطلق إبداعي، بل من منطلق اتباعي أي تتبع المصلحة والتضحية بالفكر، واتباع التأرجح – هذا الاتجاه الذي يأبى الصمود على المبدأ، إنه التناقض والتخلف.

ولذلك فإن نيتشه من هذا المنطلق يمكن اعتباره (نيتشه الثوري).

فهو الحداثي بكل ما تحمله الحداثة Modernity من معانٍ، ولو كان موجودًا حتى الآن لكان هو التفكيكي والبنيوي والحداثي الأول في عصرنا هذا.

- لذلك نيتشه صارعت نفسك وصارعت الآخرين، ولكنك مازلت تحتفظ بهذا الجسد الواهن، وهذا القلب النابض، والعقل القادر على التغيير – بكل بساطة – وقادر على بلورة ثورة القيم بأظافر من حديد لا تلين، لأنك تلتصق بالإبداع creation وتتخاصم وتعاند المحاكاة imitation، إننا نحترم فيك القصة، لأنها قصة حياتك أنت، وتمزقات قلبك في الحب ونحترمك أيضًا حيث مزقت بمطرقتك القيم العقيمة.
- لذلك نرجوك نيتشه أن تفسح صدرك لنا للمناقشة والنقد، ونزعم – نحن – أنها لن تكون صاخبة مثل حياتك ولن تكون مؤلمة لك مثلما آلمك الدهر، والإنسان، وأخلاق العبيد، وادعاءات الفضيلة.

وأخيرًا إذا كانت الفلسفة غير قادرة على احتواء وتفهم أفكار نيتشه ومعتقداته، فمن إذن يقوم بذلك؟

وإذا كانت الفلسفة ليست فقط محبة الحكمة – كما يقال – بل أيضًا نظرة جديدة للكون والإنسان، فلماذا لا نجادل نيتشه في نظرته الجديدة للكون والأخلاق على وجه الخصوص سواء اتفقنا معه أم اختلفنا.

وإذا سألنا نيتشه ما المنهج الذي يليق بك؟

أجابنا إنه المنهج التحليلي والنقدي وإن كان النقد يمثل المكانة الأعظم في الدراسات الفلسفية.

إن شخصية بعمق نيتشه وإبداعه لا يمكن التعامل معها بمنهج تاريخي سطحي ومسحي، لأن هذه الشخصية الفريدة هي أصلاً ضد تاريخ الأفكار وقدمها، بل مع تطورها وصعودها، مع النظر إلى الماضي بحذر شديد، فالإنسان صانع الفكر والتاريخ وليس العكس.

ولذلك فسوف تكون أسئلة الدراسة تليق بفكر نيتشه، فهي لا تسأل عن ظواهر الأشياء بل عن بواطنها ولا تسأل عما هو قائم ومعتدل، بل ما هو معكوس ومقلوب.

السؤال الأول: حول الذات النتيشوية وبعدها النفسي.

السؤال الثاني: حول انقلاب القيم الأخلاقية عند نيتشه بفعل المطرقة النيتشوية، وتحطيم الأصنام الأخلاقية..

١- نيتشه ــ أنا والحياة والكتابة (مرآة عاكسة)

يقول بيير بودو[١]: إن التحويل إلى موضوعات على التوالي وبصورة منهجية. إنما هو تفتيت نيتشه للدلالة على أهميته (نيتشه مفتتًا).

ومن هنا كان علينا دراسة حياة نيتشه – بشكل موجز – للتعرف على مردودها الإنتاجي والتأليفي، فهي حياة المفارقات والمعاناة ذات الطابع السخي.. إنها لوحة حياة هادئة – صاخبة – متوترة ..

ميلادي[٢]: ١٥ أكتوبر ١٨٤٤ وأجراس الكنائس تدق احتفالاً بعيد ميلاد ملك بروسيا فريد ريش فلهلم الرابع الذي سميت باسمه.

ولذلك ظل عيد ميلادي خلال طفولتي كلها يوم عيد وطني[٣].

كان نيتشه[٤] متميزًا في دراسته في الجامعة، وأستاذًا للغات القديمة، وموسيقى، وكتب عن التراجيديا اليونانية، كما تحدث عن مشكلات الحياة القصوى ultimate problems of life قضى عشر سنوات أستاذًا في باستيل ١٨٦٩– ١٨٧٩، وطوال هذه السنوات، كان دائمًا في صراع داخلي immer struggle يفكر في الحياة والموت والصحة والمرض.

يقول نيتشه[٥]: أنا نبيل بولندي أصيل لا تشوب دمه قطرة واحدة من (الدم الفاسد الألماني) وعندما أبحث عن نقيض جوهري لخسة الطبع وسفالة الغرائز أجد أمامي على الدوام أختي[*]، وإن الاعتقاد بأن لي قرابة مع مثل هذا الرهط من السفلة، فهو ضرب من التجذيف على منزلتي القدسية.

امتلأت حياة نيتشه وفلسفته بالمفارقات[٦]، فهو كليل البصر معتل الصحة، ومع ذلك وربما بسببه ينادي بإرادة القوة، ويلتحق بالجيش متطوعًا بعد أن أعجبته مشية الأوزة عند الجنود الألمان بصفة خاصة.

وفي عام ١٨٧٠[٧] خدم نيتشه فترة قصيرة في الحرب الفرنسية البروسية، لكنه أصيب بمرض الدوسنتاريا والدفتريا مما تطلب فترة نقاهة طويلة.

وفي عام ١٨٧٢ عاد نيتشه إلى (بازل) ورغم أنه مازال يعاني ضعفًا في قواه الجسدية، فقد كانت روحه مشتعلة بالطموح.. لقد عافت نفسه إلقاء المحاضرات المرهقة، وخاب أمله في الحرب، واعتقد أن الامبراطورية الألمانية قد استأصلت الروح الألمانية[٨].

وكانت صحة نيتشه عند نشر كتابه: "إنساني، إنساني إلى أقصى حد" قد انهارت، كما فقد كثيرًا من أصدقائه .. يقول "أشعر بأنني أصبحت رجلاً عجوزًا في منتصف العمر يحيط بي الموت على هذا النحو، ويمكن أن يأخذني في أي وقت"[٨].

نظرة إلى مؤلفاته[١٠]:

بعد كتاب "إنساني، إنساني إلى أقصى حد" ١٨٧٨م واصل مشروعه للنقد الكلي: المسافر وظله ١٨٧٩– الفجر ١٨٨٠، وراح يعد العرفان البهيج. وفي أغسطس ١٨٨١ فاجأه إلهام العودة الدائمة المقلق ثم إلهام زرادشت، وبين عامي ١٨٨٣– ١٨٨٥ كتب أجزاء زرادشت الأربعة، ثم ما وراء الخير والشر ١٨٨٦ وأصل نشأة الأخلاق ١٨٨٧، وفي ١٨٨٨ نجد أفول الأصنام – قضية فاجنر – المسيح الدجال .. كل شيء يجري كما لو كانت طاقات نيتشه الخلاقة تزداد توهجًا.

ويتحدث نيتشه عند كتاباته[١١]: أنا شيء وكتاباتي شيء آخر، فهذه المسألة سابقة لأوانها، وأنا بدوري سابق لأواني .. هناك أناس يولدون بعد الممات، سيأتي يوم يغدو فيه ضروريًا تكوين مؤسسات يعيش الناس داخلها، ويعلمون طبقًا لمفهومي للعيش والتعليم، وقد تُؤسس كراسي جامعية لتأويل زرادشت، غير أنني سأكون متناقضًا مع نفسي تمامًا إذا ما طمعت اليوم في وجود آذان تنصت لحقائقي.

كما يربط نيتشه كتاباته بانفعالاته النفسية[١٢]: إن فن الأسلوب عند نيتشه هو فعل حالة ما، أو توتر داخلي تحدثه الانفعالات النفسية بواسطة علامات، ذلك هو الكنه الحقيقي لكل أسلوب.

ولذلك اتسمت أعماله المبكرة[١٣] بخاصة رفض ما هو عقلي، المنظور التعليمي لما بعد الفلسفة السقراطية لصالح الانفعال الحدسي الليبيدي للفن الديونسيوسي والفطرة الجمالية عن الوضع البشري تؤكد الحياة.

أخيرًا تحدث نيتشه عن قُرائه فيقول[١٤]:

أسنانًا قوية ومعدة سليمة، هو ما أتمنى لك: وإن فهمت كتابي – مؤكد أنك ستفهمني.

نيتشه حديث الذات، وحديث الآخر عن ذاته

هو من أكثر الشخصيات المدهشة Striking في القرن (١٩) فقد كان ذا نزعة أرستقراطية أصليًا وعدوًا للدين، ونبيًا فقد شارك في قدر الأنبياء Fate of the prophet وفي القضاء والقدر. وقد كان شاعرًا Poet أكثر منه فيلسوفًا، ولم يكن هادئًا لكي نتأمل

نتائج عقله وأفكاره، وقد كان نيتشه متعصبًا وغيورًا لمهمته ورسالته إنه عبقرية غضبة Fiery genius وغير ثابت طوال الوقت، وخاصة في سنواته الأخيرة.

ولذلك فقد كان هذا الاتساع في شخصيته سببًا لثوريته، لا سيما في آرائه[١٥].

فقد شكلت الوحدة والعزلة شخصية نيتشه. من الصعب أن تعيش مع الناس، لأن الصمت أمر عسير، فانتقل من إيطاليا لقمم جبال الألب لا يحمل في قلبه حبًا لأحد، وأخذ يصلي من أجل بعث الإنسان الكامل الأعلى[١٦].

إن الفوراق الأبدية بين الإنسان والإنسان تدفعني إلى الوحدة ((أه لو كان في استطاعتي إعطاؤك فكرة عن إحساس الوحدة: فلست أجد من بين الأحياء ولا الأموات من أحس بأن بيني وبينه شبهًا وقرابة، وهذا مخيف،مخيف جدًا[١٧])).

يقول[١٨]: لابد أن أقف ضد كل ما هو مريض بداخل نفسي (فاجنر – شوبنهاور) وبما في ذلك كل الإنسانية الحديثة .. وزاده ذلك إحساسًا بالعزلة مع تدهور صحته – صداع – ألم – ضعف البصر، الذي يتطلب دورات من الراحة – استعادة الصحة – العلاج من نوبات التشنج برحلات إلى الخيال.

وهذه العزلة والوحدة وجهت نيتشه إلى الفردانية individualism.

في الحقيقة[١٩] إن نيتشه قَدَر، أو من الممكن أن يسمى اليوم مخطط اتجاه –Trend Designer، والاتجاه الذي جسده وشكله هو موجة الفردانية.

إذن فإن نيتشه يرى أن الطاقة المحركة للحياة الإنسانية يجب البحث عنها في الشحصية الإنسانية المفردة، وهو يرفض كل القوى التي ترمي إلى تشكيل الفرد البشري من الخارج أو تحدد مصيره[٢٠].

وهنا يقول نيتشه: "في مثل تلك الظروف كانت غاية الحكمة أن يتقبل المرء نفسه كقدر، وأن لا يرغب في أن يرى نفسه (شيئا آخر)"[٢١].

ثم يتحدث عن نفسه بشفافية:

بغض النظر عن كوني متدهورًا، إلا أنني نقيض المنحط، لقد أثبت ذلك بكوني أتوصل غريزيًا إلى اختيار العلاج المناسب دومًا في مواجهة حالاتي الصحية السيئة، بينما لا يلجأ المنحط دومًا إلا إلى الوسائل المهلكة.

إن تلك الصرامة مع النفس هي التي جعلتني أرفض أن أظل (مكفولاً مخدومًا)، كل هذا ينبئ عن امتلاكي ليقين غريزي مطلق تجاه ما هو ضروري[٢٢].

ولذلك كان نيتشه يعلن الخطر دائمًا:

(أتطلع إلى كل ممنوع) [٢٣] تحت هذه العلامة سيَكتب النصر لفلسفتي ذات يوم، ذلك أن الحقيقة وحدها هي التي ظلت حتى اليوم خاضعة جوهريًا (للخطر).

ولذلك يقول إنه يتمتع أكثر من موجود بحاسة شم مرهفة لالتقاط علامات الطلوع والتقهقر، "أنا المعلم بامتياز Par excellence في هذا المجال (كي تجنى من الوجود أسمى ما فيه عش في خطر"[٢٤].

وكل ذلك صنع من نيتشه الشخصية المتكبرة – كما يرى البعض – فقد كان وحيدًا معزولاً أحوج ما يكون إلى الناس، حتى إنه قال: (لقد اشتهيت البشر فلم أجد سوى ذاتي) ورغم ذلك فهو يقول أيضًا: (ليس في وسع أحد أن يحبني، لأن ذلك يوجب عليه أن يعرف من أنا، ولا أحسب في مقدور أحد التعلق بي، لأن ذلك يفترض أني لقيت إنسانًا في مرتبتي)[٢٥].

وقد كان لكل ذلك انعكاسه على رؤيته الأخلاقية، وسوف نقوم بتوضيح ذلك فيما بعد.

ولكن فلنستمع إلى أقوال نيتشه بهذا الصدد[٢٦]:

"أنا لست فزاعة على الإطلاق، ولا أنا غول أخلاقي، بل إنني من طبيعة نقيض لذلك الصنف من البشر الذين ظل الناس حتى الآن يقدسونه كمثال للفضيلة، بل لأقولها بيني وبينكم، إن ذلك بالذات هو ما يبدو لي أحد عناصر اعتزازي بنفسي، فأنا تلميذ لديونيزيوس، وأني لأفضل أن أكون مهرجًا على أن أكون قديسًا".

ومن هنا نأخذ على محمل الجد أقوال نيتشه السالبة، فهي أكثر انسجامًا وأعمق دينامية من الدعوات إلى العمل الإيجابي مستخدمًا المنهج التمييزي dia– critique[٢٧].

مواقف ذات مغزى من الإنسان والمرأة والحب والموت

إنسانيًا: نيتشه ضعيف بدنيًا ولكنه يكره الضعيف والضعفاء، عملاق فكريًا، ولكنه قزم بين الرجال[٢٨].

ويقال عن نيتشه إنها (قصة إنسان) لم يعد لديه ما يقوله، لا أحد يمكن أن يفهمه، لأنه أراد إعطاء معنى لما هو خارج المعنى، فرض مصيرًا على من يكون قدره عدم امتلاك قدر، لا شيء أكثر عبثية من إرادة تحميل الإنسان صرامة لا تلائم غير الله. هنا يبقى الإنسان خارج الإرادة وخارج القوة[٢٩].

المرأة: هناك اعتقاد بأن المرأة عميقة، لماذا؟ لأن المرء لا يلمس لها قاعًا. المرأة ليست حتى بالمسطحة.

وعندما تكون المرأة ذات خصال رجولية، فليس على المرء سوى أن يتحاشى قربها[٣٠].

ويقال إنه يكره النساء وينصحك ألا تذهب إلى امرأة إلا وفي يدك السوط، ومع ذلك فهو ينشأ وسط خمس نساء، ثم يطوف أوروبا جريًا وراء مدام (لو سالومي)، ثم تقوم بنشر مؤلفاته وتتحكم فيما ينشر ومالا ينشر امرأة هي شقيقته (إليزابيث)[٣١].

وقد تساءل البعض عن الجانب الجنسي[٣٢] عند نيتشه، وهل كان من أنصار المثلية، هل كان خنوثيًا، هل كان كارهًا للمرأة، وعندما مات والده فرض عليه الخضوع الكامل للنساء، فقد كرسن جهدهن لتربيته على القيم المسيحية المتعلقة بضبط النفس، والوداعة والغيرية، فكان صعب عليه أن يتحمل كل ذلك.

كما يقال إنه زار (بيتًا للدعارة) وأصيب بمرض الزهري، ولم يتزوج أبدًا، ولم يمارس الجنس سوى مرة واحدة.

ثناؤه للمرأة[٣٣]

أ- الغباء في المرأة ليس أنثويًا.
ب- هل هناك حالة مقدسة أكثر من حالة الحمل؟
ج- العلاج الناجح لأمراض الذكر الخاصة بالاحتقار الذاتي هو حب امرأة رشيدة.

نقده للمرأة

أ- المرأة أساسًا مخلوق مضطرب.
ب- في الانتقام وفي الحب المرأة أكثر وحشية من الرجل أم أن هذه مجاملة؟
ج- الرجل الحق يريد شيئين الخطر والانحراف، ولذلك فهو يريد المرأة، أشد الأشياء خطورة.
د- المرأة الكاملة تقطعك إربًا عندما تحبك ... أهذه مجاملة أخرى؟

تعقيب ← من هذه الجمل وبين الثناء والمدح والقبول والرفض نجد الحب الطاغي، والفلسفة الطاغية، والقوة الطاغية، والحماس النيتشوي. كل ذلك يخرج من ضعف إنساني نيتشوي شديد البراءة، قوي العاطفة – شديد النضوج عنفواني إلى أقصى حد، صريح بالكلية..

الحب[٣٣]: لا يسمح لأفذاذ الرجال الزواج عن طريق الحب، فيتزوج الأبطال من الخادمات، والعباقرة من نساء الأزياء ..

إن الحب يعمي البصيرة ويفقد الحكمة، وأن لا نسمح بزواج يقوم على الحب، وأن يتزوج خير الرجال من خير النساء .. أما (الحب) فلنتركه لحثالة الرجال. إذن الغرض من الزواج ليس مجرد النسل، بل يجب أن يكون وسيلة للترقي.

تعقيب ← هو يرفض الحب (وهو أروع إحساس في الحياة) وهو نفسه قد وقع من عليائه على الأرض في الحب، فقد أحب – كما نعرف – كوزيما ولو سالومي .. تناقض غير مبرر من نيتشه، ثم كيف يفرض نيتشه على الإنسان الأعلى شيئًا ما وهو (عدم الوقوع في الحب) فهل الإنسان الأعلى – عندك نيتشه – بلا حرية؟ هل الإنسان الأعلى مقيد؟ بل أيضًا هل لا يمتلك الإنسان الأعلى قلبًا يخفق ويحب؟

الموت[٣٤]: في عام ١٨٧٩ أصيب بمرض جسدي وأوشك على الموت، وأخذ يعد نفسه للنهاية بطريقة تنطوي على التحدي فقال لأخته.

"عديني إذا مت أن لا يقف حول جثماني إلا الأصدقاء، وأن لا يدخل الفضوليون من الناس، ولا تدعي قسيسًا ينطق بالأباطيل والأكاذيب على قبري في وقت لا أستطيع فيه الدفاع عن نفسي، أريد أن أدفن في قبري وثنيًا شريفًا".

تعقيب ← إن كلمات نيتشه الأخيرة هي المعبر الصادق عن قناعاته وهي – في نظرنا – التي شكلت رؤيته ومواقفه من الدين، والسياسة، والأخلاق، والفن، بل عن الإنسانية كلها، إذن (لا للكذب، ونعم للصراحة الصادمة).

فلسفة نيتشه في ضوء المعطيات السابقة:

نيتشه يقلق الفكر ويستفز التساؤلات، ويستدعي شتى الانفعالات، استقبلت ألمانيا ضيفًا محرجًا لا تعرف كيف تتصرف حيال نيتشه في الضمير الألماني[٣٦] ... كل حقيقة بسيطة: أليست هذه كذبة مزدوجة[٣٧].

ثم يقول عن المفكر: إنه ماهر في اعتبار الأشياء أبسط مما هي عليه[٣٨].

لا شك أن نيتشه – كما يرى د. مكاوي – قد وجد في التفكير وحده كل تشوقه وعذابه وبهجته وألمه، بل إن التفكير المجرد عنده أصبح فكرًا غنيًا بالصور الحية التي تليق بفيلسوف الحياة، فهو يكتب في إرادة القوة:

"إن الفكر هو أقوى شيء نجده في كل مستويات الحياة، وفي كتاباته المتأخرة يقول:

"إن التفكير المجرد لدى الكثيرين عناء وشقاء، أما عندي فهو في الأيام المواتية عيد ونشوة"[٣٩].

ويتحدث نيتشه عن حالة الفيلسوف فيقول: هل يمكن لحمار أن يكون مأساويًا؟ لكون الواحد ينوء تحت حمل لا هو قادر على حمله، ولا هو يستطيع أن يلقي به إنها حالة الفيلسوف[٤٠].

ولذلك تحدث نيتشه عن الأمراض التي تصيب الوعي[٤١].

وقد قال (كارل لوفيت)[٤٢] k.lowith عن فلسفة نيتشه: "إنها ليست نسقًا بسيطًا، ولا تجميعًا بسيطًا لفقرات، ولكنها (نسق من الفقرات) كل واحدة منها مسكن خاص، فيقول نيتشه: "إن الأفكار التي تأتيك وأنت تمشي، هي فقط التي تكون ذات قيمة".

وقد قالت عنه عشيقته لو أندرياس سالومي Lou Andreas-Salome إن نيتشه كان سيدًا في أسلوبه في الكتابة بالشذرات.

كما يقال في مسألة تناقض آراء نيتشه[٤٣]: إنه "فيلسوف الثقافة"، ولذلك جاءت أحكامه أكثر اتساعًا في البيولوجيا، وأحكام القيم العمليه وتصوراته عن الخير والشر.. فالثقافة تصنع الواقع الذي يصبح أكثر اتساعًا في وظيفته، وفي مسألة الإرادة أيضًا.

ولذلك جاءت أفكار نيتشه[٤٤] وبقيت في أفق الوعي الحديث تزعج وتخيف – تتحدى يقول نيتشه: (زمني لم يحن بعد، فبعض الناس يولدون بعد موتهم وكانوا يسمونه في المدرسة (الراعي الصغير) والراعي هو القسيس البروتستانتي).

تعقيب ← وكأن نيتشه هنا يحاول تقديم رؤية جديدة حول العلاقة بين المعرفة والحياة" فالحياة هي الجهل، والموت هو العلم، فمع الحياة نذوب ونتلاشى، ومع الموت نبقى مخلدين، فمع الموت وحدة واستجماع، ومع الحياة تشتت وتفتيت .. أعيش مع الناس، ولكني أموت وحدي (وهذا هو نيتشه كما أراه).

٢- الذات العميقة النيتشوية (نيتشه وعلم النفس)

يقول فيجوتسكي[٤٥]: يجب ألا يقتصر علم النفس على أن يكون مجرد علم للتدريس. وينشد من علم النفس أن يتعدى مجرد حدود المعرفة النظرية المجردة، وأن يتمكن من التوغل بفاعلية في الحياة الإنسانية، وأن يساعد بقوة في بنائها.

وعلم النفس عنده[٤٦] ينبغي أن يتخلص من اللامبالاة، فهذا العلم يطالب بألا يتجنب المشكلات الأخلاقية العظيمة الحياة الشخصية، كما لا يغفل المشكلات القليلة للحياة اليومية، فعالم النفس لا يستطيع إلا أن يكون مفكرًا، كما أنه لا يستطيع إلا أن يكون خبيرًا عمليًا فيقول: (أنا مع الممارسة والتطبيق العمليين لعلماء النفس).

وما يهمنا هنا هو المدرسة الشخصانية الفلسفية والسيكولوجية، وهي التي ينتمي إليها شترن، والشخصانية Persomalism توجد في أصول علم الكلام – الميل التعبيري – الميل الاجتماعي (الميل القصدي) intentional والأولان مبادئ الكلام عند الحيوان، والثالث يميز الإنسان عن الحيوان[٤٧].

ومن هنا تأتي فكرة أن التعادل[٤٨] بين الحالة النفسية والحالة الدماغية المطابقة لها تشكل قسمًا كبيرًا من الفلسفة الحديثة. ولقد تم البحث في أسباب ومعنى هذا التعادل أكثر مما عولجت مسألة التعادل بالذات .. البعض يرى أن التعادل يقوم على دافع أن الحالة الدماغية تزدوج بذاتها، في بعض الحالات، ويرى آخرون أن التعادل يأتي من كون الحالة الدماغية والحالة السيكولوجية يدخلان ضمن سلسلتين من الظواهر التي تتطابق نقطة فنقطة دون الحاجة إلى إسناد خلق الثانية إلى الأولى (تجاه حالة دماغية معينة تقوم حالة سيكولوجية تابعة).

ولذلك فمن المعروف أن الحدس المأساوي[٤٩] غير الحادث المؤسف – كما يقول أنطوان معلوف – وهو يثير في النفس ما يسمو على المشاعر العادية حزنًا أو أسفًا، ويجري في ديمومة احتفالية من غير نسيج الزمن العادي، ولا يملك الدخول إليه إلا من ملك حسًا مأساويًا أو صدفت مشاعره عن رؤيا مأساوية حقيقية.

في البداية يجب الإشارة إلى ما هو مكتوب فوق باب نيتشه[٥٠] "أقطن بيتي الخاص" ولم أقلد أحدًا في شيء قط، وأسخر من كل معلم لم يعرف كيف يسخر من نفسه".

كما يقول في جينالوجيا الأخلاق[٥١]: "نحن مجهولون بالنسبة إلى أنفسنا نحن العارفين، نحن أنفسنا بالنسبة إلى أنفسنا .. لقد صدق من قال لنا: حينما يوجد كنزكم ههنا أيضًا يوجد قلبكم، إن كنزكم إنما يوجد حيثما تكون خلايا نحل معرفتنا".

إذن يجب الاهتمام بمبدأ معرفة الذات[٥٢]، وهكذا فإلى جانب الحاجة إلى الجمال تنشأ الضرورات: اعرف نفسك ولا شيء أكثر من هذا، ونستخلص من هذا أن الكبرياء والمغالاة يعتبران الشيطانين اللدودين للعالم غير الأبولوني.

وعن طريق فهم خصائص العلاقات بين الأنا والأنا الأعلى[٥٣] إذا أرجعناها إلى علاقات الطفل بوالديه في ضوء عامل الوراثة، والأنا الأعلى يتعين إثر ما تلقاه الفرد عن الآخرين، بينما يتعين الأنا في المقام الأول بما خبره الفرد بذاته، أي بالعارض والراهن.

ومن كل المنطلقات السابقة يعتبر نيتشه نفسه خبيرًا نفسيًا. وفي (هذا هو الإنسان) يقول[٥٤]:

"يجب أن تدرك من خلال كتاباتي، أنك بحضرة خبير نفساني ليس له مثيل، فتلك في أغلب الظن هي أولى قناعة ينبغي أن يتوصل إليها قارئ جيد، قارئ من ذلك الصنف الذي أستحق، وقادر على قراءتي بالطريقة الذي كان الفيلولوجيون القدامى يقرأون بها (هوراس).

ولذلك كان علينا – في هذا البحث – أن نتحدث عن الذات النيتشوية من منطلق نفسي، ثم نضع الدلائل على علاقته الوثيقة بعلم النفس.

لقد بقى نيتشه[٥٥] تعيسًا في قراءة نفسه ويبدو أن جهازه العصبي كان مرهفًا إلى درجة كبيرة جعلته قابلاً للتأثر والألم، فقد كان ينقصه صفاء الذهن الحكيم – كما يقول البعض.

وقد دفع نيتشه ثمنًا باهظًا لانفعالات[٥٦] (الذهن الطاغية) "إذا كان قدرك هو أن تفكر فأعطه ساعات مقدسة وضح من أجله بأفضل ما لديك وأغلى ما تحب، ولذلك يقول: "كل انتصار من جانب المعرفة هو نتيجة صعوبة ومشقة تجاه ذات المرء"، ولذلك كان كتابه "إنساني إنساني إلى أقصى" حد الذي نشر باسم الهائم[*] ظل عنوانًا مناسبًا لسنواته الباقية.

وقد كان نيتشه[٥٧] متشائمًا برؤية كئيبة يشبه تشاؤم شوبنهاور.

فقد كانت كتابات نيتشه مليئة بالسواد والكآبة[٥٨] والضجر والملل من الحياة بل ومعاداة الحياة، وقد اهتم نيتشه بعبارة سقراط وهي "لكي تحيا تعني أن تكون عليلا مريضًا" to live – means to be ill.

ولذلك يصف نيتشه نفسه فيقول[٥٩] "أجل أنى أعلم من أنا، ومن أين نشأت: إني كاللهب النهم، أحترق وآكل نفسي، نور: كل ما أمسكه، ورماد: كل ما أتركه. أجل إني لهيب حقًا".

وقد كان أحسن وصف وأكمل صورة لنيتشه هي تلك التي عرضتها لو أندرياس سالومي) [٦٠] التي صاحبته مدة من الزمن .. قالت: "أول إحساس تشعر به إذا ما رأيت نيتشه هو إحساسك بإنك بإزاء وجدان عنيف مستور وشعور بالوحشة كتمه في نفسه".

فقد كان نيتشه بمثابة قوة انفجار [٦١] explosive force فقد كان نيتشه – كما يرى المؤلف –فاقد الثقة في العقائد Dogmas، وعقائد العلم والميتافيزيقا والدين، ينظر إلى العالم كما يبدو as it appears كما لو كان مفيدًا ومهمًا كما يتحدث المؤلف عن الفردانية عند نيتشه Individualism وتعريفها (أنها ضد القطيع والجمهور .. السرب) herds وضد المجتمعات والضعفاء فقد كان تأكيدي في هذه النقطة وكأنه امتلك أعصاب العالم Nerves of world وأراد أن يزيح الأرض من مدارها.

ولذلك كانت الأشياء الجيدة الثلاثة عند نيتشه هي[٦٢]: الصمت –العظمة – الشمس. حيث تحتوي هذه الأشياء الثلاثة على كل ما يرغب فيه المفكر ويطلبه لنفسه.

وقد وصف نيتشه نفسه[٦٣]: "إنه المتأمل المتوحد وصديق الألغاز، بل أيضًا جاء في غير أوانه على أن كل من يسير على الدروب التي سار عليها، لن يقابل أحدًا".

كما يقول "والآن أدعوكم لتضيعوني وتجربوا بأنفسكم، ولن أبتغي لكم العودة إلا بعد أن تكونوا قد أنكرتموني".

كما يؤكد نيتشه على أنه مختلف عن الآخرين:

يقول على غلاف الطبعة الثانية لكتابه (العلم المرح)[٦٤].

لم ولن أقطن إلا في منزلي الخاص

ولم أقتف أثر كائن من كان

لقد سخرت من الكبار أجمعين

عندما لم يسخروا هم من أنفسهم.

وهو يختلف تمامًا عما يسميه بعضهم (العقول الحرة المستقلة)، فمن الضعف عنده أن يخضع الإنسان في فكره وسلوكه لما تعارف عليه الناس بالقوانين الأبدية الأولى للحكمة.

ودليل هذا الاختلاف عند نيتشه أنه كان يظن أن العشق يغفر الطمع[٦٥].

تناقضات نيتشوية

يقول بيير بودو في (نيتشه مفتتًا)[٦٦]: إنه مفكر التزامن يساعدنا على التسليم بأن هذه التناقضات والتباعدات تتعايش من دون أن يدمر بعضها بعضا، ومن دون استهداف انتصار إحداها على الآخر لدى الإنسان نفسه.

كذلك يؤكد د. عبدالرحمن بدوي[٦٧]: على أن ميراث نيتشه الفكري كان التناقض. لقد ورث عن أبيه مثاليته، وعن أجداده لأمه إحساسًا بالواقع مرهفًا وروحًا من الشك بإزاء الحوادث الإنسانية، إذن هناك نزعتان متعارضتان، وهذا يفسر لنا طبيعته المزدوجة (روح التناقض) التي صاحبته طوال حياته.

ويكتب لأخته **(إن طابع أسرتنا الرئيس هو الجمع بين الأضداد)**.

إذن فقد كان نيتشه متعدد[٦٨] الوجوه متناقضًا مع ذاته. يغرق ذاته بإساءة الفهم من حيث إنه يبدو ظاهريًا سهلاً قريب المنال، بينما هو في الحقيقة شديد التعقيد، ولن نعرف قوة هذا المفكر إلا بعد أن تنشأ المسافة التي تجعلنا ناضجين لتقديره حق قدره.. إن الروح المبدعة لا تقيم وزنًا للحدود فيما هي تكشف عن مكنوناتها الدفينة.

ولذلك جاءت أقوال نيتشه الغريبة المتناقضة مثل[٦٩]: "يمكننا معرفة قدر ازدياد الحكمة بدقة من خلال قدر نقص الحقد".

نيتشه من العقل إلى الجنون(*):

يقول نيتشه[٧٠]: "أحيانًا يكون الجنون القناع الذي يخفي عرفانًا محتومًا ومؤكدًا للغاية" ما وراء الخير والشر.

ويقول[٧١] إنه في كل مكان يكون الجنون هو الذي يمهد للفكرة الجديدة: هل تفهمون لماذا لزمت مساعدة الجنون؟ مساعدة شيء مريع على صعيد الصوت والموقف.

إذن كيف يصبح الفرد مجنونًا؟ حين لا يكون كذلك وحين تكون لديه الشجاعة للتظاهر بالجنون .. إن كل الناس رفيعوا المقام في الحضارة القديمة انصرفوا إلى هذا الاستدلال الرهيب.

ولذلك يقول في (العلم المرح)[٧٢].

أن يكون المرء نبيلا فهذا يعني: أن تكون في الرأس حماقات.

فهل يمكن أن نعتبر نيتشه بهذا الجنون هو القريب إلى اللامنتمي؟ إنه سؤالنا الهام له ...

في (اللامنتمي)[٧٣] لكولن ولسون: يعرف اللامنتمي بأنه الإنسان الذي يدرك ما تنهض عليه الحياة الإنسانية من أساس (واه)، والذي يشعر بأن الاضطراب والفوضوية هي أعمق تجذرًا من النظام الذي يؤمن به قومه.

ويشير ولسن في الأدب الحديث إلى اللامنتمي من خلال بطل قصة باربوس (الجحيم) أن اللامنتمي: ليس (مجنونًا)، إنه فقط أكثر حساسية من أولئك الأشخاص المتفائلين صحيحي العقول، إنه يبدأ بنوع من التوترات الداخلية.

الفلسفة ومدار علم النفس (قالب نيتشوي)

لقد كان دور الفلسفة عنده هو أن ترصد الدوافع النفسانية المنتجة للتأويلات الأساسية للحياة في شكل سلالم قيم[٧٤].

وهكذا كانت فلسفته تقوم على تحطيم الوضوح والمنهجية، وربط أعماله انطلاقًا من الروح النيتشوية التي تقوم على مبدأ (الشيء في ذاته والظاهرة)، بمعنى أن الروح واحدة أما الأشكال فهي متبدلة[٧٥].

وهكذا كانت فلسفة نيتشه وكأنها دائرة من الصمت إلى الموت.

والرسم التخطيطي لها هو[٧٦]:

دلائل نيتشه على علاقته بعلم النفس

لقد قدم نيتشه مخطوطة كتابه (غسق الأوثان أو أفول الأصنام)[٧٧] إلى الناس وهي تحمل عنوان (عطالة خبير نفساني) أو كيف يطرح خبير نفساني أسئلته، أو مطرقة الأوثان، ثم جاء العنوان الأخير له وهو غسق الأوثان.

وقد حاول نيتشه[٧٨] – أيضًا – أن يفرق بين الأسطورة وعلم النفس على الرغم من أنه لم يقل هذا بوضوح.

يقول د. مكاوي في (كن نفسك)[٧٩] إن نيتشه في كل كتاباته يحلل نفسه وينقدها وينطق بلسان السيكولوجي حين ينطق عن حاله، فهو يقول في كتابه (ضد فاجنر) كلما زادت خبرة المرء بالنفس، واتجه كعالم نفس بالفطرة إلى الحالات الاستثنائية والأنماط المختارة من البشر، زاد الخطر الذي يهدده بالاختناق شفقة عليها.

وكل كتاباته تشهد بتحليلاته ونظراته النفسية الثاقبة، وأنه على علم (بعلم النفس التحليلي والفردي) ووصل إلى حد استباق النظريات كاللاوعي وما تحت الوعي واللاوعي الجمعي والأنماط الأولية، كما عرف أن السيكولوجية التي يقصدها (سوماتية) أو ممتدة الجذور في الجسد.

إن من يتعمق العالم الروحي لنيتشه[٨٠] لابد أن يصطدم بعدد لا يحصى من المسائل التي لا يمكن إلقاء الضوء عليها إلا من خلال (علم النفس المرضي)، ولذلك كان يجب على المحللين النفسيين أن يتعمقوا في درس وتحليل شخصيته، لأن هذه الشخصية قد مارست نفوذًا قويًا على حقبة ثقافية بكاملها.

ولذلك يقال إن الحوادث السيكولوجية[٨١] تسير جنبًا إلى جنب مع اضطراب الدماغ، كذلك تسير السيكولوجيا الفسيولوجية متوازية مع فسيولوجيا الدماغ، ولذلك يحق للسيكولوجيا الفسيولوجية أن تتقصى مؤقتًا الظاهرات النفسية.

ولا توجد شخصية أكثر جدارة من نيتشه في تقديم عدد نقاط الاستناد من أجل دراسة مثل هذه الملاحظات .. هناك نواة مرضية في شخصيته أعطته دافعًا متواصلاً ليشيد حدوسه وتصوراته على (بنيان فسيولوجي).

كما يشدد (هو نفسه) على أن تبدل طريقة الرؤيا لديه ناجم عما يطرأ على حالته الصحية من تبدلات .. فقد استطاع كما قال في (هذا هو الإنسان) أن ينزع الدوافع من "قلب المرض".

إن كل الناس يعرفون أن تأمل الإنساني – إنساني إلى أقصى حد[٨٢]، أو كما يقول المصطلح التقني: الملاحظة النفسية، هو إحدى الوسائل التي تمكننا من تخفيف عبء الحياة .. إن فن التحليل والتنظيم النفسيين لا يغيب عن الرواية، ولا القصة القصيرة، ولا عن الدراسة الفلسفية التي يمارسها أفراد يشكلون الاستثناء.

ولذلك يقول نيتشه[٨٣]: لقد صار شكل الحياة البسيطة الآن شيئا صعبًا ليس لدى الوقت للتفكير فيها مليًا. شكل الحياة البسيطة يشكل بالنسبة لي هدفًا ساميًا وسأنتظر أن يعثر عليها من هم أحكم مني.

تعقيب ← إن الحياة البسيطة غير ممكنة (أصلاً)، لأن الحياة البسيطة هي الخالية تمامًا من العمق النفسي والنوازع الداخلية، (إنها الحياة التافهة)، ولذلك فإن نيتشه لا يبحث عنها لأنه الذات المعقدة سيكولوجيا، وبذلك يترك حياة البساطة لمن هم أحكم منه والمقصود هنا – كما نرى – للأغبياء السطحيين .. تعمقوا كلماته حتى تروه على حقيقته.

ولذلك أراد نيتشه[٨٤] أن يتغلب على نفسه بكافة الطرق، فقد اعتبر أن التأويل هو فن القوس المشدود الذي يعلم المرء كيف يذهب إلى أبعد من نفسه ويتغلب على حدود نفسه هو فن "التغلب على النفس".

وإيمانًا من نيتشه بعلم النفس[٨٥] كان يتحدث عن التدهور الذي ينشأ من تعطل أو كسل السيكولوجيين، ولذلك كانت قراءته للسيكولوجيين الفرنسيين مما أفاده في التحليل النفسي، وهذه الحقيقة ظهرت في كتاباته حتى ١٨٨٨.

تعقيب ← هنا يجب العودة أيضًا إلى العلاج النفسي Psychatheraphy وعلاقته بازدواجية الأفكار، أو إفراطها أو تفريطها، أو الجنوح نحو الغرابة .. فالتأثيرات النفسية – عندنا – حتى البسيطة منها تظل ذات أثر بالغ في نفسية الفنان الحقيقي والفيلسوف الحقيقي والمفكر الحر، إنه الإنسان (صندوق النفس الإنسانية) الملي بتجارب الماضي والحاضر وتخوفات المستقبل.

إذن فالبعد النفسي Psychological dimension له تأثيره البالغ في الحياة العقلية، فقد يجعل الشخص محبًا لذاته كما هو الحال عند نيتشه.

ولذلك نرى أن أهم دلائل نيتشه على علاقته بعلم النفس هو استخدامه لفعل النقاوة فيقول:

"هناك عنصر جلب لي في علاقاتي مع البشر صعوبات ليست بالهينة .. إن غريزة النقاوة لدي تتمتع بحساسية مرهفة رهيبة تجعلني أدرك فسيولوجيا. ماذا أقول؟ بل الأعماق الحميمية والأحشاء الدفينة لكل نفس اشتمها لدي يفعل هذه الحساسية، هو إثبات نفسانية تمكنني من الإحساس بكل الأسرار وتناولها بقبضتي كلها فتتجلى لي واضحة منذ الملامسة الأولى تقريبًا"[٨٦].

فقد كان نيتشه يقول[٨٧]: إننا نحتاج إلى كيمياء من (العواطف). وهكذا تحول إلى عالم نفساني، ووضع كتابًا حلل فيه أدق العواطف والمعتقدات، وقام بتشريحها بقسوة لا تقل عن قسوة الطبيب الجراح، وأهدى كتابه إلى فولتير.

وقد ربط نيتشه بين السيكولوجيا وفعل التفكير، مما يؤكد أن نيتشه له بواعثه النفسية لإنجاز أفكاره وبلورة مذهبه الفلسفي المتكامل...

ومما يؤكد وجهة نظرنا هذه:

يرى نيتشه[٨٨]: أن الإنسان ليس تفسيرًا للواقعة السيكولوجية فحسب، بل أيضًا هو حل لكل أشكال التفكير والأفعال، وذلك من أجل تفسير الأنساق المختلفة في الفلسفة والدين بحسب أفكارنا عن المثل العليا الأخلاقية للجنس البشري كله.

إذن كما يرى نيتشه يجب الأخذ بالمنهج العلمي والتاريخي والسيكولوجي إلى جانب الخبرة الشخصية، وهذا يجعلنا في احتياج إلى كيمياء الأخلاق chemistry of Morality والدين والتصور الجمالي aesthetic concepts .

بعد هذا العرض يجب الإشارة إلى مدى العلاقة بين نيتشه وفرويد على مستوى المجال النفسي.

يقترب فرويد من فكر نيتشه[٨٩]، ولكنه أيضًا يتعارض معه. وقد أشار فرويد نفسه أكثر من مرة إلى هذا التقارب كما جاء في كتابه (فرويد بقلمه) فكلا الاثنين يقاوم الموضوعات السائدة للتنشئة الاجتماعية والأخلاقية، وذلك بالإطاحة بالدور المركزي للوعي، وإبداله بتحليل من (الهو) ومن الحياة كرغبة وجنس، وعندئذ ينفصل الطريقان أو يصرح فرويد – بوضوح – في كتابة (فيما وراء مبدأ اللذة) أنه لا يعتقد في بزوغ عام لدى البشر أن يصبحوا سوبرمان.

وبالتالي فهو أكثر تشاؤمًا من نيتشه[٩٠] فيما يتعلق بإمكانية (قلب القيم)، لأن الثقافة الإنسانية هي قبل كل شيء قمع للغرائز، ولكنه يضيف في كتابه (علم النفس الجمعي وتحليل الأنا) أن السوبرمان عند نيتشه كان قائدًا للبشر بلا دوافع ليبيدية، فهو لا يحب إلا نفسه، ولا يقدر الآخرين إلا بقدر ما يستخدمهم في إشباع غرائزه.

وقد طبق نيتشه[٩١] ذلك كثيرًا على النفس الإنسانية، وعلى الموسيقى، فيقول: كلما أهملت نفسك أكثر، أهملك الآخرون أقل.

أما عن الموسيقى[٩٢] فيقول: إنني أريدها بهيجة وعميقة مثل عشية يوم من أيام أكتوبر، أن تكون فريدة من نوعها ورقيقة وحلوة في عهرها وملاحتها.

تعقيب ← يجب علينا أن نتأمل التعبيرات المكشوفة لنيتشه عن الموسيقى، فهو يفضح الموسيقى كما يفضح نفسه بالموسيقى. ونحن نقول له يالها من موسيقى تعبيرية جميلة، تلك

التي تتساوى في وجودها النغمي مع وجودها الإنساني الفج والعميق .. إنه الكشف الموسيقي النفسي ..

وفي نهاية هذا العرض للبعد النفسي النيتشوي، كان لابد أن نربط ذلك بالعبقرية والجنون والإبداع.

يرى نيتشه أن العبقرية[٩٣]: محددة بالهواء الجاف وبالسماء الصافية، يعني أنها محددة بالاستقلاب الكيميائي السريع، وبإمكانية التزود بكميات كبيرة وخيالية من الطاقة.

ويقول نيتشه[٩٤]: إن عظماء الرجال مثل الأزمنة العظمى مواد انفجارية تراكمت داخلها كميات هائلة من الطاقة. والشرط الأول لظهورهم تاريخيًا وفسيولوجيا في أنه يتم دومًا التهيئة لهم لمدة طويلة من الزمن .. إن الرجال العظام ضرورة، بينما العصر الذي يظهرون فيه مجرد صدفة .. أما العبقري في الفعل والعمل لابد أن يبذل نفسه بلا حساب، تلك هي عظمته.

ومن هنا جاءت القضية الهامة جدًا، وهي العلاقة بين الجنون والإبداع في علاقتهما بالعبقرية.

يرى د. يحيى الرخاوي[٩٥] أن قضية العلاقة بين الجنون والإبداع تمثل تحديًا للوعي البشري. إن الكائن البشري منذ أصيب بمحنة (الوعي) ومسئوليته، تصور أنه يمتلك وسائل تخطيط مستقبلة، فتدخل في مسيرة حياته تدخلاً عشوائيًا.

ولذلك يقول نيتشه[٩٦]: وحدهم المبدعون قادرون على التدمير: يكفي أن نبدع أسماء جديدة – تقديرات –احتمالات جديدة لنبدع أشياء جديدة.

ودليل ذلك – عنده –[٩٧] أنه كان يهتم بالتفكير المعمق في طبيعة العلاقة بين تجربة الألم التي نعانيها في الحياة، وفي الفن تفكيرًا بالغ الشدة.

لقد كان نيتشه طوال حياته أكثر اهتمامًا بما سينجزه فيما يتعلق بالحضور الكلي للألم من اهتمامه بأي شيء آخر، وذلك كشخص أيضًا ذي حساسية مفرطة، شخص لم يجرب إلا الكثير من الألم سواء أكان نفسيا أو جسديا في معظم سنوات حياته –كما يرى البعض.

٣- المفارقة والعدمية

رؤية فلسفية نيتشوية

يقول نيتشه [مالا تاريخ له لا يمكن معرفته][٩٨] لهذا السبب وغيره نجد مفهوم المفارقة غامضًا غير مستقر، ومتعدد الأشكال، فكلمة مفارقة لا تعني اليوم ما كانت تعنيه في عصور سابقة، ولم يحدث (كما يقول المؤلف) إلا منذ وقت قريب أن دخلت الكلمة في اللغة المحلية مع شيء من التكلف جعل عبارة (باللمفارقة!) تحل محل باللصدفة! أو حتى باللغرابة!

ومنها اشتق هزء المفارقة – المفارقة بالتشابه – المفارقة غير اللفظية – المفارقة الدرامية – المفارقة الكونية – مفارقة التنافر – المفارقة الرومانسية.

وتكون المفارقة رومانسية بالدرجة الأولى عند هاينه وبودلير ونيتشه وتوماس مان.

وقد ساد مفهوم المفارقة العدمية[٩٩] في عصر ما بعد الرومانسية في القرن التاسع عشر .. إن المفارقة (نظرة في الحياة تجد الخبرة عرضة لتفسيرات متنوعة) ليس فيها واحدة صحيحة دون غيرها، وأن تجاوز المتنافرات جزء من بنية الوجود. وهذا الطريق يفتح المجال أمام النسبية، ومنه إلى مفهوم عن المفارقة لا يكاد يميزها عن الغموض، أو حتى الخوف من الظن بأن المرء قد قصد شيئا لم يقصده.

ومن خصائص المفارقة[١٠٠] (الظهر والحقيقة) أي تباين الحقيقة والمظهر (هاكون شفالييه – مزاج المفارقة) ولذلك يوصل صاحب المفارقة رسالته الحقيقية إلى الجمهور، أي يزودهم بوسيلة بلوغها بما يشبه الخط المتقطع كما هو في الشكل التالي ...

الترميز وفك الرموز

السياق الاجتماعي – الثقافي

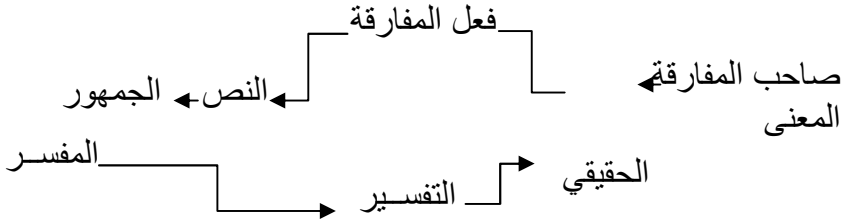

ويقصد بفعل المفارقة مثل عبارة فرويد (فعل النكته)، ويقوم التفسير بقلب فعل المفارقة، فتحت تأثير الإشارات أو تصادم الرسالة على السياق، يتخلى المفسر عن صفة القبول ويحول المديح إلى لوم.

ثم نأتي إلى مفهوم العدمية النيتشوية الذي هو جزء من العدمية الأوروبية[١٠١] بصفة عامة.

ونيتشه[١٠٢] يمثل صدعًا في تاريخ البشرية على حد تعبير فيلسوف الحياة (لودفيج كلاجيس) فهو آخر العدميين .. إنه فيلسوف الكارثة، كما تبعث آراؤه مائة عام من رماد العدمية التي لحقت بأوروبا، وتصبح العدمية مجرد (فترة استراحة) بين موت المثل القديمة وميلاد المثل الجديدة.

ويعبر ذلك عن نيتشه العدمي والوجودي[١٠٣] The Nihlist and The existentialist وهذا ما كان له الأثر الكبير في تفكير القرن العشرين وعند ألبير كامي.

كما توجد تفسيرات متعددة للعدمية عند نيتشه، وهي توجد في تحليلاته الشخصية (الذاتية)، فليس للواقع معنى يمكن اكتشافه، وطبيعة العالم هي العدمية .. ويعد نيتشه نفسه عدميًا ووجوديًا يتبع العدمية. وفي الوقت المعاصر يسمو بالوجوديين، وعلاقة ذلك (بالأخلاقية والمسئولية ومكانتها).

بل قد بالغ البعض في أن نيتشه ليس أكثر من عدمي وجودي، وليس فيلسوف القوة أو الإنسان الأعلى أو العود الأبدي eternal recurrence، فهو العدمي بامتياز، فقد تحولت القيم إلى اللاقيم. وهذه الأشياء هي التي صنعت الشخص الفرد individual، أي نيتشه، إنها جزء من الشخصية أو الفردية individuality إن صح التعبير.

ويرى نيتشه أن العدمية[١٠٤] تعتبر الصيرورة شيئًا ينبغي أن يكفر، وينبغي أن يتم امتصاصه في الوجود المتعدد كشيء جائر ينبغي محاكمته .. وفي ظل العدمية تكون دوافع الفلسفة عواطف سوداء.

ومن هنا يرى أن العدمية[١٠٥]: هي موضوع علم النفس، علمًا بأن علم النفس هذا هو أيضًا علم نفس الكون (الكوزموس) ... كما يقول[١٠٦]، إن العدمية قد هزمت نفسها بنفسها.

وتنقسم العدمية عنده إلى[١٠٧]: العدمية السلبية والإيجابية. أما العدمية السلبية، فهي تذهب مذهب التشاؤم بسبب غياب القيم ولاغائية الوجود. أما العدمية الإيجابية فهي تريد أن تحطم كل ما فقدت الاعتقاد فيه، والإيمان به. وقد أنذر نيتشه بحلول العدمية الإيجابية التي تظهر من خلال الحروب العالمية الأيديولوجية.

والسؤال الهام الآن: كيف وصل الإنسان إلى العدمية عند نيتشه؟؟[١٠٨]

لقد وصل الإنسان إلى الشعور بانعدام قيمة الوجود حين فهم أنه لا يمكن تفسيره في مجمله لا بواسطة مفهوم (الغاية)، ولا بواسطة مفهوم (الوحدة)، ولا عبر مفهوم (الحقيقة) فهو لا يصل إلى شيء لا يبلغ شيئا بهذه الطريقة.

ومراحل انتصار العدمية عند نيتشه هي[١٠٩]: الإذعان – الإحساس بالخطأ – المثال الذهدي – موت الله.

وهكذا أطلق نيتشه ما نسميه العدمية[١١٠] على مشروع نفي الحياة والحط من قدر الوجود، إنه يحلل الأشكال الرئيسة للعدمية، وبذلك فإن العدمية لا تقتصر إطلاقًا على تحديدات سيكولوجية كما لا تقتصر على أحداث تاريخية أو تيارات أيديولوجية، ولا تقتصر حتى على بني ميتافيزيقية.

ولاشك أن روح الانتقام يعبر عن نفسه بيولوجيا وسيكولوجيا وتاريخيا .. إن روح الانتقام نموذج لا ينفصل عن فلسفة نيتشه.

ولذلك فليس الإذعان هو الذي ينتمي إلى علم النفس، بل كل علم النفس لدينا هو من دون علمه علم نفس الإذعان.

وفي النهاية يأتي السؤال كيف يمكن مجاوزة العدمية عند نيتشه[١١١]؟؟

إنه تحول من العدمية السلبية إلى العدمية الإيجابية (الفاعلة) يعلن عن ميلاد الفلاسفة المشرعين الذين يحددون أهدافًا جديدة للإنسانية كلها.

٤- الأخلاق النيتشوية: تطبيقات حيوية

في البداية يمكن القول إذا أردنا أن نحصل على استنتاجات عن كيف يجب أن نعيش، وما الالتزامات الخاصة تجاه الآخرين؟ إذن نحن نحتاج أن نبدأ أولاً بفهم الطبيعة البشرية understanding of human nature وكيف تفعل في الوجود الإنسان؟ ومن دون ذلك لا يمكن إعطاء تصور عن الأخلاقية[112].

وهذا ما يجعلنا دائمًا (من المنظور الأخلاقي) بصدد نوعين من التوجه الأخلاقي: إما استقلال أخلاقي Moral autonomy أو الدوافع الأخلاقية Moral Motives، أو ما يعرف باستقلالية التصرف.

وهذا سبب ما تعرضت له الأخلاق الكانطية من هجوم عنيف، لأنها أخلاق مشتعلة غير قادرة على تفسير دوافعنا لتكون أخلاقية، وهي تفشل في حمايتنا من أي مضمون في الأخلاقية، أو تعطينا أي مفهوم عن الفعل (الوسيلة الأخلاقية)[١١٣].

وفي ظل هذا الإطار ظهرت الأخلاق الواقعية وتخطيط القيم كما ظهر فريق يؤكد العلاقة بين الأخلاق والاتساق المنطقي logical consistency، كما ظهرت الأخلاق النفعية utilitarianism وأيضًا مشكلات الالتزام وحدود الالتزام The limit of obligation[١١٤].

أ- نظرة نيتشه للأخلاق

يقول نيتشه "حدثتني عن نفسها أنها لا تمتلك أية أخلاقية، وأنا أرى أنها مثلي ... والحقيقة أنها أخلاقية عنيفة Severe Morality أكثر من أي شيء آخر"[١١٥].

إذن الشيء الذي لا يمكن أن ينكره أي فيلسوف مهما كان معارضًا أو معاديًا لنيتشه هو أنه في ميدان فلسفة الأخلاق استطاع أن يترك بصمات وأثار قوية وعميقة، مما جعل مؤرخي الفلسفة يضعون نيتشه (كفيلسوف أخلاقي)، أكثر مما يضعونه في ميدان الميتافيزيقا أو الابستمولوجيا، وسبب اهتمامه بالأخلاق هو أن موضوع الأخلاق والتقويم هو الذي يشكل ماهية الإنسان وحقيقته، فالإنسان هو ذلك الكائن الذي يقوّم الأشياء ويصدر عليها أحكامًا، فزرادشت في رحلاته بين الشعوب والمدن، لم يكتشف إلا شيئًا واحدًا مهمًا وهو أن: أكبر قوة على الأرض هي: الخير والشر[١١٦].

ولذلك فهو يقول في (العلم المرح): "حتى في مجال الإدراك الحسي لا توجد تجارب أخرى معيشة غير تجارب الأخلاقية"[١١٧].

فما هو تعريف الأخلاق عند نيتشه؟

إنه سؤال الكشف عن العقلية النيتشوية

الأخلاق هي[١١٨] نظرية التراتب بين البشر، وبالتالي نظرية قيمة أفعالهم وصنيعهم بالقياس إلى هذا التراتب، إنها إذن نظرية التقييمات الإنسانية في كل ما يمت بصلة إلى ما هو إنساني.

والتراتب بين البشر هو التراتب بين العبد والاستقراطي، بين الأسفل والأعلى، بين الارتكاس والفعل.

إذن الأخلاق هي: نظرية التقييمات التي تعبر عن نمط حياة صاحبها .. إن القيم الخلقية لغة رمزية للانفعالات .. إنها شكل تقييم العالم .. إنها إرادة الاقتدار.

والأخلاق إذن هي إرادة القوة[١١٩]، والحب ذاته رغبة في التملك ومطارحة الغرام، معركة الزواج سيادة .. لقد قتل (دون جو) حبيبته (كارمن) ليحول بينها وبين آخر يريد امتلاكها.

ونيتشه[١٢٠] يرى أن كل الوسائل التي كانت ستجعل الإنسانية أخلاقية، قد كانت حتى الآن لا أخلاقية للغاية.

وهنا يتحدث د. عبدالرحمن بدوي[١٢١] عن موقف نيتشه من الإنسان كخالق للقيم كلها: إن قيمة الأشياء ليست في ذاتها، وإنما الإنسان هو الذي يصنع القيم للأشياء، فهي تنشأ من موقف الفرد بالنسبة إلى الأشياء تبعًا لجوهره.

ومن هنا جاء حديث نيتشه الدائم عن الفردية[١٢٢] والخلق الذاتي Self Creation والقيمة Value والمعنى meaning فلم يكن تفكير نيتشه مفهومًا إلى حد بعيد – عند البعض – وكان نقده للمجتمع قائمًا على الهدف النهائي ultimate goal في الحياة كمستوى للجنس البشري. ولذلك فمن الصعوبة فهم كيف أن الفكرة الفردية عند نيتشه توافقت داخل المجتمعات.

وقد دافع البعض عن الأخلاق الفردية عند نيتشه[١٢٣]، فهم يرون أن الأخلاق عنده أصبحت مدرسة ممكنة للكرامة وعزة النفس dignity وهنا يجب التفرقة بين الطليق الفاسق Libertines والمحبين العشاق lovers.

فقد كان للبعد النفسي[١٢٤] في الدراسة الأخلاقية عند نيتشه تأثير كبير، حيث يقول لا توجد تعريفات أنانية ولا تصرفات غيرية: المفهومان كلاهما محض خلط سيكولوجي، وكذلك هو الشأن بالنسبة لمقولات (الإنسان يطمح إلى السعادة) أو (السعادة جزاء الفضيلة).

إنما هي كيركا الساحرة (kirke ساحرة من الأسطورة اليونانية تغوي الرجال بصوتها العذب لاستدراجهم) كما أنها تعلن ذلك اللغو الكريه القائل بأن الحب لابد أن يكون شيئًا (غير أناني).

فقد كان من الطبيعي أيضًا أن يهتم نيتشه بالنفسانيين الإنجليز، وخاصة في علاقتهم بنشأة الأخلاق[١٢٥].

وكما أن الأخلاق جزء أصيل في الدراسات النفسية فإنها الجزء الأكثر أصالة في الفلسفة كما نرى.

يقول نيتشه[١٢٦]: إن "الفلسفة كما أفهمها وأعيشها هي الحياة طوعًا فوق الجليد وفوق الجبال الشاهقة.. البحث عن كل ما هو غريب وإشكالي في الوجود، وعن كل ما ظل منبوذًا من قبل الأخلاق".

وهذا ما علمني أن أنظر إلى الأسباب الكامنة خلف عمليات سن الأخلاق والمثل نظرة مغايرة لتلك التي يمكن أن تكون مرغوبة ومستساغة.. هكذا نكشف عن التاريخ الخفي للفلاسفة ونفسية أعلامهم من ذوي الأسماء الكبيرة".

كما يقول: "أنا لا أفند المثل بل أكتفي بوضع القفاز عند تناولها.

تعقيب ← تأمل ثم تأمل هذا الأسلوب الأدبي الرشيق المعبر عن الرؤية الأخلاقية النيتشوية وهو يتعانق مع نظرة فلسفية بعيدة المدى، يتلاحم تلاحم الأم بالجنين، يتشابك تشابك الروح بالجسد.

إذن يتجه اهتمام نيتشه[١٢٧] لإقامة القيم الأخلاقية إلى عملية الحياة نفسها فكل ما يسمو بهذه العملية ويعلو بها هو القيمة وهو المعيار لكل جهد أخلاقي .. فعلى الإنسان[١٢٨] أن ينظر إلى الحياة ويفعل ما يغلب عليه، مما أدى إلى دراسة وافية للإنسان وتلك هي النتيجة الأعظم والرئيسة Para mountissue التي توصل إليها نيتشه.

ولذلك يعتبر كتاب جينالوجيا الأخلاق[١٢٩] عند نيتشه هو أهم كتبه الأخلاقية فالهدف من الكتاب ليس فهم الأخلاق، بل جودة وعظمة الإنسانية human excellence.

كذلك كانت هناك أسباب عدة لاختيار نيتشه لزرادشت في الأخلاق[١٣٠].

وقد كان نيتشه ضد الأخلاق السقراطية السلبية[١٣١]، وفيها يتحدث عن مشكلة سقراط والكلمات التي تخرج من شفاة هؤلاء، الكلمات الملموءة بالشك، وكذلك بالماليخوليا Melanchaly والملل weariness فقد استخدم سقراط كلمات مثل (أن تعيش يعني أنك مريض طوال الوقت) to live means to be ill a long time.

كما هاجم نيتشه التعصب الأخلاقي عند كانط واللاهوت[١٣٢]، يقول كانط "افعل طبقًا لمبدأ الفعل الذي تريد له أن يكون قانونًا عامًا"، ونيتشه يسمي ذلك بالتعصب الأخلاقي ويدين غريزة كانط اللاهوتية.

كما يقول إن الفضيلة يجب أن تكون من ابتكارنا نحن، وأن تكون دفاعنا وضرورتنا الشخصية، وكل واحد يجب أن يبتكر فضيلته الخاصة وأمره المطلق. إن الأمر المطلق عند كانط هو خطر على الأخلاق.

إذن فالسؤال عند نيتشه ليس (ما الذي يمكن أن نعرفه؟) بل (ما الأفضل لنا أن نعرفه؟)

النزعة الأخلاقية (تطبيقات فنية):

من كل ما سبق نجد أن نيتشه لم يتوان في جعل الفن شريكًا للأخلاق.

ونجده في مولد التراجيديا[١٣٣] لا يؤكد – فقط – على الخلق والإبداع، بل والحكمة فيها، كما يتحدث عن الفضائل المطلقة والترانسندنتالية.

كما يتحدث نيتشه عن إلهين[١٣٤] (ديونسيوس) إله الخمر عند اليونان والعربده ويمثل الإنسان البدائي، ويترك أتباع هذه العبادة اللغة والهوية الشخصية، وينخرطون في رفض نشوان، أما (أبوللو) فهو إله الشمس إله النظام والعقل يتجسد في حلم الوهم، ويمثل الإنسان المتمدين، وتؤدي عبادة أبوللو إلى التفاؤل.

أما الموسيقى[١٣٥] فهي تهب الميلاد للأسطورة، وقبلها للأسطورة المأساوية التي هي مثل أخلاقي للمعرفة الديونسيوسية.

ويقول نيتشه عن المأساة إنها شكل جديد من الوعي الجمالي، ليشير إلى النظرة المأساوية للحياة، والموسيقى وحدها هي التي تقودنا إلى هذا الإدراك.

ب- قلب القيم عند نيتشه:

يعد مفهوم قلب القيم أو انقلابها عند نيتشه من أهم المفاهيم الأخلاقية ذات البعد الإبداعي والابتكاري النيتشوي، فهو كمن يجعل الرأس قدمًا والقدم رأسًا، أو كمن يُكسِّر العظام القديمة ليأتي بعظام جديدة أقوى وأكثر صلابة، أو كمن يشكك في القيم الأخلاقية أو يجعل من الأخلاق لا أخلاق .. كما نرى.

يقول نيتشه[١٣٦]: "إننا نحن معشر المفكرين الأحرار نمثل في حد ذاتنا (قلبًا لكل القيم) وإعلان حرب ونصر مجسدة لحمًا ودمًا ضد كل الأفكار القديمة عن الحقيقي والباطل".

إن قلب القيم[١٣٧] unwertung الذي يعلنه يستبدل بالتكيف مع النظام العقلي للعالم تمجيد الإرادة والعاطفة، لقد قضينا على عالم الحقيقة، فما العالم الذي بقى لنا إذن؟ عالم الظاهر ربما.. لقد غدت لي القدرة التي تمكنني من تحويل زوايا الرؤية إنه السبب الأول الذي بإمكانه أن يجعلني الوحيد المؤهل لمهمة (قلب القيم)"[١٣٨].

وليس هناك أغنى ولا أدهش ولا أكثر استقلالية من الجوهر، وهو تحطيم الأصنام[١٣٩]، ولا يتم ذلك ببساطة، وتحطيم الأصنام نابع من أسلوب نيتشه حيث ينتقد الفلسفة الأكاديمية الألمانية، وعلى رأسها كانط في نقد العقل الخالص.

ومن هنا يرى نيتشه[١٤٠] أن فلسفة القيم كما يؤسسها ويتصورها هي الإنجاز الحقيقي للنقد – الطريقة الوحيدة لإنجاز النقد الكلي، أي صنع الفلسفة هي ضربات المطرقة.

ويستتبع موضوع القيمة [قلبًا نقديًا] ومن جهة أشد عمقًا إن القيم هي التي تفترض تقويمات ووجهات نظر تثمينية تستمد منها قيمتها بالذات.

وفي كتابة (الفجر[١٤١] – خواطر حول الأخلاق كفكرة مسبقة) بدأت حملته على الأخلاق من هذا الكتاب: "هناك أضواء تجارب كثيرة لم تشع بعد"، هذه المقولة الهندية منقوشة في مقدمة هذا الكتاب .. عالم بأكمله من صياحات جديدة في (قلب كل القيم الأخلاقية) في الاستجابة الإثباتية، والثقة بكل ما ظل إلى هذه اللحظة ممنوعًا محتقرًا وملعونًا.

لا تُهاجم الأخلاق في هذا الكتاب، إنها فقط لم تعد تدخل في الاعتبار، وينتهي الكتاب بعبارة (أم ماذا؟) إنه الكتاب الوحيد الذي ينتهي بـ (أم ماذا؟).

فقد كانت الأخلاق[١٤٢] عنده هي تدمير للأخلاق القديمة، فلقد جمع الحكمة والمبادئ في كتابين ما فوق الخير والشر ١٨٨٦ والثاني أص نشأة الأخلاق ١٨٨٧، إذن لابد من تمهيد الطريق لأخلاق الإنسان الأعلى.

ويؤكد ذلك موقف نيتشه الصادم من التربية[١٤٣]، حيث يقول إن التربية تقدم لنا قدرًا من المعلومات عن الثقافة، وتكون نتيجها ما يسمى بالشخص المتعلم الذي يمتلك قدرًا من التاريخ، ولكنه لا يستطيع أن يعيش حياة أصيلة من صنعه.

وتصر التربية على تفصيلات دقيقة، وعلى موضوعية مستقلة لا تصلح إلا لإضفاء الشلل على المشروع الفردي للتحقق الذاتي والفعل في العالم.

تعقيب ← وهنا يسدد لنا نيتشه ضربات موجعة لا للتربية لا للتاريخ .. صادم أنت محتج دائمًا، ولكنك غالبًا على صواب. إن نيتشه يرفض أن تكون التربية أو التاريخ صانعًا للفرد، بل الفرد هو الصانع لكليهما، كما يؤكد على سخف التربية التي تعني بالتفصيلات الفارغة empty details والموضوعية الزائفة False objectivity التي تؤدي للشلل التام في التحقق الإنساني الفعلي. وهنا نيتشه لا يريدنا خارج منظومة التربية، بل خارج منظومة تربية بالية عتيقة تقوم على افعل أو لا تفعل، لأنها لا تصنع الشخصية المتوازنة.

وهنا يتحدث نيتشه[١٤٤] عن مبدأ جديد يعطي الأولوية لميلاد القيم birth of values عن طريق المبدعين وذلك لأن[١٤٥] الأخلاقية الآن هي ضد الطبيعة.

ومن هنا جاء قول البعض "بلا أخلاقية الأخلاق" عند نيتشه، وذلك بسبب سوء استخدام التاريخ في الحياة عند نيتشه[١٤٦].

وهكذا كان الهدف من الفن التراجيدي هو رفض المدلول الأخلاقي للحياة، وبهذا الرفض فقط يمكن الحديث عن قيام الفن التراجيدي أو النظرة المأساوية للحياة[١٤٧].

إذن فالأخلاق عنده منافية للطبيعة، متعارضة مع الواقع، مضادة للحقيقة الفعلية، ومن أجل هذا لابد من القضاء عليها، وهذا ما يسمونه باسم اللاأخلاقية عند نيتشه أو (لا أخلاقية نيتشه)[١٤٨].

ويعترف نيتشه بذلك فيقول أيضًا: "يريدون بطريقتهم الخاصة إصلاح البشرية وفقًا لصورتهم الخاصة، يعلنون حربًا على ما يمثل هويتي وعلى ما أريد إذا ما افترضنا – طبعًا – أنهم يفقهون ذلك .. إنهم مازالوا يعتقدون جميعهم في (المثل)، إنني اللاأخلاقي الأول"[١٤٩].

ويرى نيتشه أن الأخلاقيين هم أنفسهم اللاأخلاقيون، نظرًا لأنهم يشرحون الأخلاق، وأن من يريد التشريح عليه أن يُقتل في سبيل غاية وحيدة هي تحسين المعرفة والحياة، وليس أن يباشر كل الناس التشريح[١٥٠].

وفي نهاية هذا العرض لانقلاب القيم النيتشوي فهل كان نيتشه يريد إصلاح البشرية بذلك؟ سؤال هام.

يقول نيتشه[١٥١]: لم يخطر ببالي أن ما أعد به هو (إصلاح البشرية)، كما أنه لم يشيد أصناما جديدة .. تحطيم الأصنام، وهذه كلمتي المفضلة للتعبير عن المثل، فهي حرفته، لأنه بمجرد أن ابتدعت أكذوبة عالم المثل، حتى تم تجريد الواقع من قيمته ومن معناه وحقيقته.

العالم الحقيقي والعالم الظاهر أو بعبارة أكثر وضوحًا العالم المبتدع والعالم الواقعي .. إن أكذوبة المثل ظلت حتى الآن اللعنة الحائمة فوق الواقع .. ومن هنا أصبحت الإنسانية مشوهة ومزيفة حتى في غرائزها الأكثر عمقًا تزييفًا بلغ حد تقديس القيم المعكوسة المناقضة لتلك التي كان بإمكانها أن تضمن النماء ، والحق المقدس في المستقبل[١٥٢].

جـ القوي والضعيف –بزوغ السوبرمان وأخلاق القوة:

إن مفهوم القوة عند نيتشه هو مفهوم قوة تتعلق بقوة أخرى، وبهذا المظهر تسمى القوة إرادة .. إن الإرادة (إرادة القوة هي عنصر القوة التفاضلي)، وينتج عن ذلك (تصور مفهوم جديد لفلسفة الإرادة، ذلك لأن الإرادة لا تمارس بصورة غامضة على عضلات أو أعصاب

ولكنها تمارس بالضرورة على إرادة أخرى .. إن المشكلة الحقيقية ليست في علاقة الإرادة باللاإرادةبل في علاقة إرادة تأمر بإرادة تطيع، وتطيع إلى هذا الحد أو ذاك(١٥٣).

فقد اعتقد نيتشه أن القوى كمية ويجب تحديدها كميًا، يقول إن معرفتنا قد باتت علمية بمقدار ما يمكنها أن تستخدم العدد والقياس، كما يجب السعي لرؤية ما إذا كان يمكن أن نبني نسقًا علميًا للقيم انطلاقًا من سلم عددي وكمي للقوة، وكل القيم الأخرى هي أفكار مسبقة، وسذاجات، وحالات سوء فهم يمكن تحويلها في كل مكان إلى سلم (عددي كمي)(١٥٤).

لكن في الوقت نفسه يرى أن التحديد الكمي الصرف للقوى يبقى مجردًا ناقصًا.. إن فن قياس القوى يستدعي تفسيرًا للصفات، لكن القوة تكمن في الكيفية ولايمكن أن تكون كل الكميات علامات الكيفية، إن إرادة تحويل كل النوعيات إلى كميات ضرب من الجنون(١٥٥).

تعقيب ← لم يحاول نيتشه عرض أمثلة وتفسيرات لرؤيته، ولذلك غاب عنه الفهم الحقيقي للقوة .. أما الجديد عنده فهو ضرب من الجنون النيتشوي في تحويل كل الكميات أو محاولة ذلك إلى علاقات نوعية من كيفيات في مجال إنساني للغاية وهو (مجال الأخلاق).

ويقول نيتشه: إذا كانت الحياة هي تنازع البقاء وبقاء الأصلح، عندئذ تكون القوة هي الفضيلة الأساسية والضعف هو النقيصة الوحيدة، ولذلك يمكن اعتبار نيتشه (طفل داروين)(١٥٦).

إذن يمكن النظر إلى خلاصة فلسفة نيتشه – كما يرى البعض – أنه داعية للعنف، فلا رحمة للضعيف في عرفه كما يقول (زارا) وعلى الأقوياء (النبلاء) أن يحكموا، ولكن بعد أن يتحللوا من كل أصنام سابقة ظلت تستعبدهم منذ القدم، وكان نيتشه نبي فلسفة القوة، وكان نبيًا سبق عصره. إنه عبقري مجنون(١٥٧).

ومن آراء نيتشه الهامة أنه لابد أن يضمحل الضعفاء وذوي التكوين المعوق: المبدأ الأول لمحبة الإنسان لدينا(١٥٨).

ومن القوة والضعف تنشأ العلاقة بين السيد والعبد:

يرى نيتشه(١٥٩) أن الديالكتيك في تأمل العامة وطريقة تفكير العبد، حيث تتغلب هنا فكرة التناقض المجردة على الشعور الملموس بالاختلاف الإيجابي، ويتغلب رد الفعل على الفعل ويأخذ الانتقام والإذعان مكان العدوانية، إذن ليست العلاقة بين السيد والعبد هي الديالكتيكية في ذاتها.

إن الوعي عند نيتشه[١٦٠] هو دائمًا وعي أدنى بالنسبة إلى الأعلى الذي يخضع له، أو (يلتحق به) ليس الوعي وعيًا للذات أبدًا، بل هو وعي أنا Moi بالنسبة إلى الهو Soi الذي ليس وعيًا من جهته، ليس وعيًا للسيد، بل هو وعي العبد بالنسبة لسيد لا يلزمه أن يكون واعيًا، ولا يظهر الوعي عادة إلا حين يرتد كل أن يتبع كلاً أعلى .. هذه هي عبودية الوعي .. إنه يشهد فقط على (تكون جسم أعلى).

تعقيب ← إنه إبداع نيتشوي جديد يظهرنا بوضوح على علاقة الإنسانية بالوعي، وهذا شيء طبيعي، ولكن هذا الوعي الذي يشكل وجود العبد والسيد بضغطة شديدة على الأنا العبودية والأنا السيده فيبرز استغناء السيد عن وعيه بذاته، لأنه قائم بسيادته، وعدم استغناء العبد عن وعيه بذاته لأنه قائم بغيره، وهنا تتكشف العلاقة بين الوعي لذاته وبذاته والوعي بغيره.

ويؤكد آلان تورين في (نقد الحداثة)[١٦١] على سيادة التعارض بين السيد والعبد منذ هيجل إلى نيتشه إلى ماركس، إنه يفرض علينا إما الدفاع عن الذات، وإما رفضها من داخل مجتمع منقسم إلى طبقات ونخبه تطابق بين نفسها وبين التقدم، وفئات اجتماعية مقهورة.

ومن هنا نجد أن كل قانون أخلاقي يتحول عند نيتشه – في الحال – إلى عكسه، إذا وضعنا الجبناء cowards محل الأبطال heros[١٦٢]، ولذلك كان نيتشه – دائمًا – ضد صعود العبيد والرعاع[١٦٣].

شمس السوبرمان تضيء الفكر النيتشوي:

"وجدت في زرادشت معلمًا جديدًا وإلهًا جديدًا وهو السوبرمان والإنسان الأعلى"[١٦٤].

ونيتشه هو المبشر بالإنسان الأعلى وقد كان لدراسته عن ديوجين اللائرسي علاقة كبيرة بذلك. هذه الدراسة التي كانت تحت إشراف أستاذه (ريتشل) على الرغم من أن أول مبشر – في الحقيقة – بتعاليم الإنسان الأعلى هو (تارس) في الحضارة الشرقية[١٦٥].

"أنا أعلمكم الإنسان الأعلى، لا يوجد الإنسان إلا ليتم تجاوزه، ماذا فعلتم لتجاوزه؟

انظروا أنا أعلمكم الإنسان الأعلى".

إن كلمة (فوق بشري) تدل على نموذج كمال كلي، بالتعارض مع الإنسان (الحديث) والإنسان (الطيب) لدى المسيحيين وغيرهم من العدميين، وهو يتخذ معنى يدعو كثيرًا للتفكير حين ينطق بها فم واحد كزرادشت[١٦٦].

فقد كان الطريق إلى الإنسان الأعلى هو الارستقراطية وليس الديمقراطية، فهي سخف، وهي حكم الأكثرية والعدد، فيجب استئصالها والقضاء عليها. وأول خطوة لتحقيق ذلك هو

تحطيم المسيحية. فقد كان انتصار المسيح بداية الديمقراطية، "لقد كان المسيحي الأول في أعماق نفسه ثائرًا على كل ضروب الامتياز، فقد عاش وكافح في سبيل المساواة بين الناس في الحقوق"[١٦٧].

والسؤال الآن كيف نصنع السوبرمان؟؟[١٦٨].

بما أن القوة وحدها وليست الشفقة هي الأساس للأخلاق، لذلك ينبغي على الإنسانية ألا تتجه بجهودها إلى رفع طبقة العوام والأكثرية من الشعب، بل ينبغي النهوض بأقوى وأفضل الأفراد، وأن يكون هدف الإنسانية هو الإنسان الأعلى، وليس الجنس البشري كله.

إذن اختيار الإنسان الأعلى إنما يكون عن طريق وسائل تحسين النسل والتعليم الذي يرفع من قيم الرجل.

ولذلك نجد نيتشه[١٦٩] يمجد شخصية نابليون وأمجاده الحربية، واعتبره تجسيدًا لفكرته عن الإنسان الأعلى الذي لا يكل من تحقيق طموحاته، والسعي على اكتساب السلطة والقوة .. ولكن في الوقت نفسه فالإنسان الأعلى ليس مثاليًا عند نيتشه[١٧٠].

ومن المعروف اشتراك جية مع نيتشه في الإنسان الأعلى، وكان سؤال جية الدائم من هو الإنسان الأعلى؟ ?who is the overman وعلاقة ذلك بالقيم العليا.. ولاشك في وجود انتقادات عديدة بصدد الإنسان الأعلى[١٧١].

وأخيرًا يأتي السؤال ما مستقبل الإنسان الأعلى؟

تنبأ نيتشه بأن كل قارئ سيظن نفسه بأنه الإنسان الأعلى، فأعلن بأن الإنسان الأعلى لم يولد بعد، وأننا لسنا إلا جذوره وتربته "لا ترغب في شيء فوق طاقتك، ولا تكن فاضلاً فوق قدرتك، ولا تطلب من نفسك شيئًا فوق احتمالك"[١٧٢].

أخلاق السادة والعبيد في الميزان النيتشوي:

توجد وجهتان للنظر في الأخلاق والسلوك الإنساني: أخلاق السادة وأخلاق الطبقات العامة. لقد كانت الفضيلة بالنسبة إلى الروماني العادي تعني الرجولة والشجاعة والإقدام. أما الأخلاق الثانية فقد جاءت من آسيا، وخاصة من اليهود أيام خضوعهم السياسي، لأن الخضوع يولد الذل والعجز، وينتج طلب المساعدة من الغير.

وهكذا اجتاحت أخلاق الضعف والسلام، وهي أخلاق الطبقات الضعيفة والمستعبدة والمغلوبة على أمرها أخلاق الأسياد، وهي حب المخاطرة والقوة، وحل المكر محل القوة، والشفقة محل الضعف، والتقليد محل الابتكار وصوت الضمير محل الكبرياء والشرف.

ولذلك فإن الإنسان الأعلى هو من يستطيع أن يرتفع إلى مستوى الحب القدري، فهو يعرف طبقًا لزرادشت أنه يحتاج إلى أسوأ ما فيه، إذا أراد أن يصل إلى أفضل ما فيه(١٧٣).

يقول الضعيف فاتر الهمة (إن الحياة لا تساوي شيئًا، وخير له أن يقول "أنني لا أساوي شيئًا" لقد فقدت الحياة قيمتها عندما تخلينا عن أخلاق البطولة وأخذنا بمبادئ المساواة الديمقراطية التي تكفر بعظماء الرجال(١٧٤).

إن الرجل الممتاز ينظر إلى الحياة على أنها كفاح هائل ضد الأكاذيب وألوان الخداع، التي انساقت الإنسانية في تيارها، وأن يعلم أن كل رسالته هي إهدار كل القيم الباطلة التي اتخذها الناس في قياسهم للخير والشر(١٧٥).

وهكذا وكما يأتي في كتاب (ملحدون محدثون ومعاصرون) أن الأخلاق لا وجود لها إلا بين أصحاب المجد الرفيع، والذين يتفوقون على عامة الناس بفضل ما يتمتعون به من صفات وراثية وبيولوجية يفتقر إليها عامة الناس(١٧٦).

ونيتشه يؤكد دائمًا موقفه المعارض لأخلاق الضعفاء ومصدر القيم لديهم(١٧٧).

وفي النهاية فإن مصدر القيم عند نيتشه هي الصراع بين أخلاق العبيد والنبلاء وهي ذات تاريخ سحيق في القدم، هو ذلك الصراع بين قيم النبلاء وقيم العبيد، بين من يقول (أنا كريم) و(أنت لئيم) وبين من يقول (أنا خير) و(أنت شر) (١٧٨).

د- العود الأبدي - تلازم أخلاقي:

هبطت فكرة العود الأبدي كصاعقة قوية على نيتشه، إنها التجلي الرائع، وهي فكرة قديمة كانت موجودة في الفكر الهندي، وقال بها هيرقليطس، فالهنود يعتبرون الوجود شرًا ويصرفون كل همهم للتخلص من التناسخ، والعود الدائم إلى الحياة، يتقشفون، ويعملون الصالحات.

وقد كان للفيثاغورية والرواقية موقف خاص من العود الأبدي(١٧٩).

وقد نسب نيتشه لنفسه فكرة العود الأبدي كما جاء في رسالته عن (نفع التاريخ ومضاره للحياة) أن الفيثاغوريين قالوا بفكرة العود الأبدي.

وهذه الفكرة عنده هي المقابل للمذهب العدمي الذي يزعم فيه بأنه ما من شيء حقيقي، وأن كل شيء بلا جدوى.

وتعني الفكرة: أن كل ما يوجد سيعود من جديد، وأنه قد حدث من قبل وسيحدث من جديد كل مرة وإلى الأبد، فلا توجد بداية أو نهاية أو وسط لقصة العالم.

ومما لاشك فيه أن نيتشه كرس عشر سنوات من عمره لدراسة العلوم الطبيعية لإثبات فكرة العود الأبدي إثباتًا علميًا[١٨٠].

إذن هناك ثلاثة موضوعات تخص العود The recurrence فهي جزء من القانون الطبيعي (الفيزيائي) وهي تتبع سياق العود .. ولا يتحدث نيتشه هنا عن نقطة ما في الأحداث التاريخية والجيولوجية وعودتها، لأن كل الأحداث من الممكن أن نأخذ مكانها من جديد، والظواهر تعود مرة أخرى، كما كانت في الماضي، ثم يتحدث عن العود الأبدي فيما يتعلق بالسلوك الأخلاقي[١٨١].

وهذه الحياة سوف نعيشها مرة ومرة وفي أزمان بغير عدد، ولن يكون فيها شيء جديد، بل كل ألم وكل فرح، وكل فكرة، وكل صغيرة، وجميع الأحداث العظيمة في حياتنا لابد أن تعود مرة أخرى من جديد، إذن كل شيء بالتسلسل نفسه وبالنتائج نفسها..

ويشدد العود الأبدي على مغزى أفعالنا الحاضرة فيما نفعله الآن سوف يعود إلينا مرة أخرى وثالثة، إنه يبرر واقعة مسئوليتنا الشخصية عن أفعالنا، كما يتضمن تحريضًا "(كافح) لتكون أعظم مما أنت عليه، تغلب على ذاتك، يجب أن تحقق أفضل ما في نفسك"[١٨٢].

وفي النهاية يمكن القول بأن نيتشه أعطى الأهمية الكبرى للعود الأبدي، وذلك في سياق أن العود الأبدي يحل مشكلات كثيرة ..

كيف نوفق بين الوجود الحقيقي الذي هو صيرورة، وبين الوجود الذي تقول به المعرفة، وتؤمن به الحياة، وهو وجود ساكن ثابت؟ كل هذه المشكلات تحل في كلمتين اثنتين (العود الأبدي)[١٨٣].

٥- موقف نيتشه من المقولات والفضائل الأخلاقية (إبداع نيتشوي):

الحرية والمسئولية مدخل لإنسانية أخلاقية:

إن تصور الحرية الإنسانية يستدعي الكثير من المناقشات الفلسفية، لأنها تبدو أنها مركزية لفكرتنا عن الإنسان تبعًا للعديد من الفلاسفة.

والعامل الأول فيها أنها تميز الإنسان عن الزلازل، والحيوانات والعمليات الطبيعية الأخرى، إنها تخص فقط الإنسان، وهي بمثابة لوم على أقل تقدير لبعض من أفعالهم، وهي التي تميز الوجود الإنساني.

وهذا الاقتراح عن حرية الإرادة هو أفضل تعريف عن القدرة ability، ولذلك فإذا قررت أن تقضي هذه الليلة كما تريد بدلاً من الاستعداد للامتحان، فإن فعلك هذا هو (فعل حر)، إذا أنت اخترت أن تفعل شيئًا ما وفقًا لإرادتك، وليس وفقًا للعالم، وإلا أصبح هذا العمل عملاً صالحًا هو الحتمية Determinism.

وهكذا تأسست الحتمية على ادعاء بسيط Simple claim: أن كل حدث هو علة حادثة أخرى تبعًا لقوانين العادة casual laws التي تفسر كيف أن الحوادث ترتبط بعلاقات معينة(١٨٤).

ومن هنا كانت مشكلة حرية الإرادة proplem of free will من أضخم المشكلات في حياة الإنسان(١٨٥).

ومما لا شك فيه أن المسئولية الأخلاقية Moral responsibility تتبع الحرية الإنسانية(١٨٦).

والآن ما الموقف النيتشوي من الحرية وإرادة القوة؟

يقول نيتشه "حيث توجد حياة، توجد أيضًا إرادة: إرادة قوة لا إرادة حياة"(١٨٧).

ونيتشه يرى أن الحرية تعني سيطرة الغرائز الذكورية والحربية وغرائز الانتصار على بقية الغرائز، مثل غريزة إيثار السعادة. إن الإنسان الذي تحقق له التحرر، والعقل الذي تحقق له التحرر يطأ بقدميه على ذلك النوع الحقير من الطمأنينة الذي يحلم بها المسيحي، والأبقار، والنساء والإنجليز، وغيرهم من الديمقراطيين(١٨٨).

يقول نيتشه: "ليست العظمة عندي أن تتحمل أحكام الضرورة وتصير عليها، بل أن تحبها" ولكن يا أسفاه ما أسهل القول وما أصعب العمل(١٨٩).

وقد تحدث البعض عن إرادة القوة عند نيتشه، ورأوا أن الغموض يلف إرادة القوة، فهل إرادة القوة هي الصيرورة (كل الصيرورة) أم هي ماهية الصيرورة (مبدأ الصيرورة)؟(١٩٠).

وإرادة القوة هي ألم عند نيتشه. هذا الألم الذي يسعى إلى التشديد على العلاقة التضمينية للقوى، بحيث إن كل قوة تشعر بأنها تتألم بسبب القوى الأخرى (سلبية) سلبية أقل ما تشعر بالإحساس الفوري بذلك الذي يعمل على زيادتها أو نقصانها .. إن إرادة القوة ألم ومعاناة(١٩١).

أخيرًا إرادة القوة هي أوسع من حياتنا النفسية أو الفكرية – كما يرى نيتشه – لأنها دائمًا أوسع من الحياة(١٩٢).

وفي علاقة الحرية بالأخلاق يذكر نيتشه أن هذه المقدرة على خلق دوافع فكرية للسلوك تسمى بـ (المخيلة الأخلاقية)[١٩٣].

أما خلاصة فلسفة نيتشه في الحرية وعلاقتها بالإنسان الأعلى، فيرى أن هذه الحرية ليس معناها السير على الهوى، وترك العنان للحياة تسير كما تشاء، وإنما الحرية معناها ألا يأبه الإنسان للعناء والقسوة والحرمان، بل والحياة نفسها، وأن تتكون حياته بغرائز الرجولة والنضال[١٩٤].

وبعد الحديث عن الحرية والمسئولية، يأتي الحديث عن موقف نيتشه من الفضائل الأخلاقية.

إن الحديث عن الفضائل ليس بسيطًا عند نيتشه، وخاصة في الزمن المسالم الهادئ، فقد تمسك نيتشه بالإنسان القوي وسوف يأتي العصر القادم، إنه عصر النبوغ والتسلط والسيادة Mastery[١٩٥].

كما أن الفضائل الأخلاقية عند نيتشه ضد السقراطية[١٩٦] والمسيحية Neither among the socratic nor among the Christian values.

أما قانونه الأخلاقي فهو ضد الرذيلة "تحت اسم الرذيلة أكافح ضد أي ضرب من ضروب معاكسة الطبيعة، أو بصورة أفضل ضد المثالية"[١٩٧].

وعن التلاعب بالفضيلة يقول: ماذا؟ لقد اخترتم الفضيلة والصدر البارز، وفي الآن نفسه ترنون خلسة إلى امتيازات السفهاء، لكن، مع الفضيلة يتنازل المرء عن الامتيازات" معلقة على باب معادٍ للسامية"[١٩٨].

أما بالنسبة للسعادة كفضيلة أخلاقية، فقد تعددت الآراء حول السعادة واللذة Happiness and pleasure وهل السعادة ذاتية أم موضوعية Is Happiness subjective or objective، كما كانت لأرسطو إسهامات كثيرة في السعادة، وخاصة السعادة في السياق العام[١٩٩].

فما الشيء السيء؟ وما السعادة عند نيتشه؟ السيء هو كل ما يتأتى من الضعف، أما السعادة فهي الإحساس بأن القوة في تنام، وأن هناك مقاومة يتم التغلب عليها[٢٠٠].

ويتحدث عن المتعة والسعادة، والانتقال من مبدأ الواقع إلى مبدأ المتعة، كما أن لنيتشه تصوراته الخاصة فيما يتعلق بالطرق التي يمكن للمرء من خلالها أن يكون سعيدًا[٢٠١].

ما موقف نيتشه من الخير والشر؟

يرد نيتشه بعض افتراضاته حول أصل الأخلاق إلى كتاب هام بعنوان: "في أصل المشاعر الأخلاقية"، وكان مؤلفه الشاعر بول ري paul Rée ١٨٧٧ وهذا الكتاب أيقظ في داخله الكثير، ويتحدث فيه عن الأصل المزدوج للخير والشر، وأن هذين المفهومين يختلفان وفقًا لتولدهما عن نطاق الأسياد أو عن نطاق العبيد(٢٠٢).

إذن ما الخير وما الشر؟ إن الخير كل ما يعلو في الإنسان بشعور القوة وإرادة القوة .. ما الشر هو كل ما يصدر عن الضعف.

ما السعادة؟ الشعور بأن القوة تنمو وتزيد وبأن مقاومة (ما) قد قضى عليها(٢٠٣).

إذن الخيرهو الذي يحيا ويظفر، والشر هو الذي يستسلم ويفشل(٢٠٤).

وفي علاقة الخير والشر بتحطيم الأصنام يقول نيتشه" "إن من يريد الخلق والإبداع في الخير. أو في الشر، لابد أن يبدأ أولاً بالإفناء وإهدار القيم"، ونيتشه يرى أن الظواهر الأخلاقية لا وجود لها، وكل ما هنالك تفسير أخلاقي للظواهر، وهذا التفسير نفسه صادر عن ينبوع خارج عن الأخلاق.

والإنسانية تعيش اليوم على عبادة الأصنام، أصنام الأخلاق والسياسة والفلسفة، وهي آلهة باطلة اخترعتها ثم عبدتها(٢٠٥).

ويعتقد نيتشه أن الحياة مليئة بالشرور والقسوة، فالإنسان القديم كان يشعر بنشوة كبرى بارتكاب أشد أعمال البطش والقسوة، بل إن الإنسان أشد الحيوانات قسوة، كما يشعر بالسعادة عندما يشاهد مناظر صراع الثيران، وأعمال الصلب، والمناظر المؤلمة(٢٠٦).

ونيتشه يهتم بالخير والشر في نطاق الفن، وخاصة (مولد التراجيديا)، حيث يستخدم في كل ذلك ما هو شعري وتخيلي poetic أو أسطوري mythic، وقد بدأ ذلك بوضوح في التراجيديا فقد أعطى فيها مساحة للحياة الأفضل(٢٠٧).

كما أن نيتشه في كتابة (ما وراء الخير والشر) يدافع عن الشر ويهاجم الخير، وقد هاجم الفيلسوف جون ستيوارت مل الذي ذهب إلى أن واجب الإنسان يقتضي منه العمل على انتصار الخير وهزيمة الشر(٢٠٨).

ومن هنا يرى نيتشه أنه ليس هدف (الخبيث) هو الإساءة إلى الغير من أجل الإساءة. إن هدفه هو متعتنا الخاصة، متعة الإحساس بالانتقام أو متعة إثارة الأعصاب بصورة حاد.. تكفي أدنى مضايقة لإظهار المتعة(٢٠٩).

والآن يأتي موقف نيتشه من العدالة ..

تُولد العدالة (الإنصاف) بين أناس يتمتعون بقوة متساوية تقريبًا، كما لاحظ ذلك توسيديد (مؤرخ إغريقي مشهور عاش في القرن ٥ ق.م.)[٢١٠].

وقد عالج نيتشه مشكلة العدالة ضمن معالجاته للضمير والعدالة والتفوق الإنساني (العظمة) conscience, Justic and human excellence، فقد حاول توضيح مكانة الفضائل بتوضيح نوعية العدالة ومشكلة الحقيقة، وجينالوجيته تشكل دائما البحث الأول لحل مشكلة القيم[٢١١].

يقول نيتشه: "لماذا نبالغ في تقدير الحب على حساب العدالة وتتحدث عنه بكلمات براقة، كما لو كان في جوهره، أسمى من العدالة، أليس جليا أنه أبلد منها؟ بكل تأكيد"[٢١٢].

ومن هنا لعبت فكرة الشيوعية عند نيتشه دورًا هامًا، وخاصة في نظرة نيتشه لكيفية بزوغ الوجدان والشعور consciousness نتيجة لاحتياج الإنسان إلى الاتصال communication بالجماعة الاجتماعية[٢١٣].

وأخيرًا يسجل لنا نيتشه موقفه الرافض للعدالة بقوله:

"العدالة التي بدأت تقول (كل شيء يمكن دفع ثمنه، كل شيء يجب أن يدفع ثمنه) هي عدالة .. انتهى بها الأمر"[٢١٤].

ويأتي أخيرًا موقف نيتشه من الشفقة والعطف يقول نيتشه: "إن الشفقة Mitleiden لا تمثل فضيلة إلا بالنسبة للمنحطين، وما آخذه على المشفقين هو سهولة تخليهم عن الحياء. والاحترام ورهافة الحس، وعدم تمسكهم بالمسافة الضرورية لحفظ اللياقة، كما أن الشفقة سرعان ما تفوح دائمًا برائحة الرعاع، وتغدو شبيهة حد التماهي بالسلوكيات الهجينة"[٢١٥].

ويقول: "إن العطف أمر مشروع إذا كان فعالاً، أما الشفقة فهي ضرب من الشلل العقلي ومضيعة للشعور في إصلاح من لا يرجى إصلاحهم من العجزة والمشوهين والمرضى والمجرمين.. والشفقة تحتوي على السماجة وقلة الأدب، إن زيارتنا للمرضى هي نزعة استعلاء منا نحو هؤلاء المرضى العاجزين"[٢١٦]. ومن هنا جاءت العلاقة عند نيتشه بين الشفقة والتباهي[٢١٧].

إذن – عند نيتشه – ترافق الشفقة بذاءة خاصة: بما أنها تريد أن تغيث الآخرين، فإنه لا شيء يحرجها لا وسائل الشقاء، ولا طبيعة المرض وسببه [٢١٨].

ويرى نيتشه أن أخلاق الشفقة قد تصيب حتى الفلاسفة، وتجعلهم مرضى، حيث يتفقون على القيمة السلبية للشفقة، فقد كان أفلاطون، وسبينوزا، ولاروشفوكو، وكانط، هؤلاء المفكرين الأربعة، على اختلافهم الكبير فيما بينهم، يتفقون حول نقطة واحدة هي [إزدراء الشفقة][٢١٩].

أخيرًا وفي ضوء كل ما سبق تأتي وجهة نظر نيتشه في العلاقة بين الدين والأخلاق والسياسة والأخلاق فهل هي موقف طبيعي اتساقًا مع البناء النيتشوي السابق أم هي الموقف الصادم الذي يسير عكس الاتجاه النيتشوي الأخلاقي العام؟

وعلينا أن نضع نصب أعيننا دائمًا مواقف نتيشه في العدمية، والمفارقة، ومن النسق الفلسفي والأخلاقي، ومن توجهاته بإزاء المقولات الأخلاقية، بل وانقلاب القيم بشكل عام.

٦- العلاقة بين الأخلاق والدين عند نيتشه:

أولاً: الموقف النيتشوي الخاص من الدين:

أسس البناء الديني النيتشوي:

نحن الآن بإزاء وضع الأسس التي بني عليها الموقف الديني لنيتشه، وهي بمثابة الثوابت المنطقية في البناء الفكري بصدد الدين والإيمان عنده[٢٢٠].

يقول نيتشه في (أفول الأصنام)[٢٢٠]: "من لا يعرف كيف يصنع إرادته في الأشياء، يصنع على الأقل رأيه داخلها" يعني أنه يؤمن بأن إرادة ما توجد داخلها إنه المبدأ الذي يقوم عليه الإيمان".

وللتعرف على أصل الدين عند نيتشه[٢٢١] يجب الرجوع إلى الشذرة (١٢١) من كتاب "العلم المرح" والتي تحمل عنوان (أصل الدين) والشذرة(٣٥٣). والإنسان يعتبر نفسه إلهًا عند نيتشه.

يقول نيتشه[٢٢٢]: "لكم هو قليل ما يحتاجه المرء كي يكون سعيدًا: صوت آله هوائية، لو لم تكن هناك موسيقى لكانت الحياة خطأ. الألماني يعتقد نفسه إلهًا مغنيًا".

ولذلك نجد نيتشه في سن الثامنة عشر فقد إيمانه بإله آبائه، وبحث عن إله جديد، وهو الإنسان الأعلى ولم يجد صعوبة في استبدال الإله الجديد بالقديم[٢٢٣].

أما بالنسبة لنشأة نيتشه[٢٢٤]، وعلاقتها بالدين فمن المعروف أن والده كان قسيسًا وأجداده من رجال الدين .. ولقد هاجم المسيحية لأن فيه كثيرًا من روحها الأخلاقية، وكانت فلسفته محاولة لإصلاح المسيحية – كما يقول البعض – وكانت أمه ورعة متمسكة بالدين،

كما أنه تميز بالإحساس المرهف، وكان يكره أبناء السوء إذا ما سرقوا أوكار الطيور وحرموها من فراخها، وجردوا الحدائق من الثمار، فأطلقوا عليه "القسيس الصغير" ووصفه أحدهم بأنه كالمسيح في المعبد، وكان يقرأ الإنجيل لنفسه، وللآخرين بطريقة مؤثرة.

تعقيب ← إنه جزء هام من شخصية نيتشه هو سؤاله الدائم والملح لنفسه لِمَ لا Why not؟ لِمَ لا تجرب عكس ما ترغب؟ لماذا لا تتذوق السلبي مع الإيجابي، وخاصة إذا كان الإيجابي مشكوكًا فيه؟ ولماذا لا نفعل النفيضين حيث (المفارقة والعدمية)؟ وما الخطأ في ذلك؟ تلك هي تساؤلات نيتشه البريئة فهي نفسية إنسان مؤهل ليكون عبقريًا، فهو المسيحي ولكنه المتمرد العبقري ...

موت الإله (العدمية في الدين):

"**ماذا ترى؟ الإنسان مجرد خطأ إلهي أم أن الله مجرد خطأ بشري؟**" .. **نيتشه**[٢٢٥].

يقول آلان تورين[٢٢٦]: إن هذه القطيعة ليست نهاية العالم، إنها تمثل تحررًا يفتح مرحلة جديدة وجريمة اغتيال في آن، حيث تركت القطيعة الإنسان محملاً بعقدة الذنب – الله قد مات، كما قال نيتشه في كتابه (العلم المرح) ويضيف "لقد قتلناه ويضيف أيضًا قد مات وبقى ميتًا، ونحن الذين قتلناه، كيف ننعم بالسكينة، نحن قتلة القتلة".

وموت الإله يحدد لنا (الميتافيزيقا) باعتبارها البحث الذي استمر من بارمنيدس وأفلاطون إلى ديكارت وسبينوزا، ونيتشه يرفض الإيمان بمشكلات وتصورات الفلسفة الترانسندنتالية[٢٢٧]. الله قد مات حيث لا يوجد أشياء في ذاتها – الأرواح – أوامر العالم، إنها معطى من خلال الخبرة، ولهذا لا يمكن أن توجد لذاتها .. وهو هنا يتحدث عن شوبنهاور، ولكنه لا يتوافق مع مسألة الإرادة العمياء blind will وقد كان ذلك مدخلاً طبيعيًا لحديث نيتشه عن النموذج الأعلى للإنسان، حيث يصل الإنسان بالمجهود والصراع لامتلاك القوة الفيزيقية والفكرية والأخلاقية.

وهكذا يرى نيتشه العالم دون إله The world without god[٢٢٨].

وقد حاول الكثيرون تفسير موت الإله عند نيتشه .. نحن لا نعرف إذا كان نيتشه يريد أن يقول إن الإله غير موجود ولم يكن في أي وقت من الأوقات موجودًا، أو أنه يعني أن الإله موجود، ولكن المسيحيين وغيرهم أساءوا فهمه بطريقة بشعة، ومن هنا فإن القول بموت الإله هو رفض لهذه المفاهيم الخاطئة[٢٢٩].

إن نيتشه لم يرفض جميع الآلهة[٢٣٠]، لأنه أبدى إعجابه المفرط بالآلهة اليونانية القديمة كما وصفتها الأشعار الهوميرية والمسرحيات التراجيدية..

إلا أن المسألة التي لا خلاف فيها هي أن نيتشه يهدف بعبارة (الإله قد مات) إلى (إلغاء عبء المفارق) كما يرى بيار هيبرسوفرين في كتابه (زرادشت نيتشه).

تعقيب ← هذا التفسير غير مُرضٍ لماذا؟ لأن المسألة عندنا أن نيتشه فيلسوف العمق والتحليل ولا يمكن له اختزال مسألة الموقف من الإله في [إلغاء عبء المفارق]، لأن المفارق ليس عبئا على الروح ولا العقل من زاوية الميتافيزيقا المحايدة.

ومن هنا ظهرت العدمية في الدين[٢٣١] عند نيتشه، وهي بمثابة موت الشهادة (الاستشهاد) martyrdom في الدين سواء مع الله أو مع الأصدقاء، مع الوحدة والفقر والمرض، والإنكار الذاتي personal renunciation للعالم كله، ولا يمكن لأحد أن يفعل في حياته أكثر مما فعل نيتشه.

إن موت الإله[٢٣٢] يعني تناقض قيمة الدين والأخلاق والميتافيزيقا تناقضًا ذاتيًا (العدمية).

وحين يخوض نيتشه في نقد العدمية[٢٣٣] يجعل من العدمية مفترض كل ميتافيزيقا لا تعبيرًا عن ميتافيزيقا خاصة، فليس هناك من ميتافيزيقا لا تحكم على الوجود وتحط من قدره باسم عالم فوق–محسوس para–sensible.

إن صراع نيتشه ضد العدمية وروح الانتقام (جرثومة الانتقام) سوف يعني الإطاحة بالميتافيزيقا ونهاية التاريخ كتاريخ للإنسان، وتحويلاً للقيم.

المسيحية والمسيح (موقف من الميتافيزيقا):

في كتابه (مولد التراجيديا)[٢٣٤] صمت عميق وعدواني تجاه المسيحية، فلا هي بالأبولونية ولا بالديونيزية، إنها تنفي كل القيم الجمالية، القيم الوحيدة التي تثبتها الديونيزية عدمية في معناها العميق، بينما يبلغ الإثبات حده الأقصى في الديونيزية، مرة واحدة ظهر التلميح للقساوسة المسيحية كجنس لئيم من الأقزام، وكائنات تحت أرضية.

ولذلك – عند نيتشه[٢٣٥] – "لا ينبغي أن نزين وجه المسيحية ونلمع سحنتها: لقد خاضت حربًا بلا هوادة ضد ذلك النوع الراقي من الإنسان، ونبذت الغرائز الإنسانية لهذا النوع".

"ولذلك حين نسمع دقات الأجراس القديمة صباح الأحد نتسائل: أيعقل كل هذا من أجل يهودي تم صلبه منذ ألفي سنة، وكان يدعي أنه (ابن الله)، إن الإثبات الذي يحظى به هذا الادعاء ينقصه البرهان"[٢٣٦].

والسؤال لماذا يرفض نيتشه الدين المسيحي؟[٢٣٧]

لأنه يدعو الناس إلى قبول ما يسميه (أخلاق العبيد) ونيتشه لا يعترض على المسيحية لأسباب ميتافيزيقية، لأن الذي يهمه هو الأثر الذي يتركه أي دين في المجتمع. إن الشيء المرفوض عنده هو الخضوع لمشيئة الله المسيحي، فالخضوع إنما يكون الإنسان الأعلى.

ويؤكد نيتشه على رفضه للمسيحية[٢٣٨] حتى على مستوى (الذوق) فيقول: منذ الآن لن تكون حججنا هي التي تقرر ضد المسيحية، بل ذوقنا.

ولذلك كان لنيتشه[٢٣٩] موقفه الخاص من الموسيقى ڤاجنر، وعلى ظهور (بارسيفال) لفاجنر ١٨٧٧، كانت علاقة نيتشه بفاجنر صدفة قد انتهت، لأن الأخير كان يتبنى (الرمزية الدينية) فدماء المسيح تفتدى العالم وتخلصه، يقول نيتشه:

"لقد أصبح فاجنر ورعًا .. فقد دافع فاجنر عن المفهوم المسيحي (لابد لك أن تؤمن وسوف تؤمن)" إذن يرى نيتشه أن شوبنهاور وفاجنر والمسيحية كلها مترادفات للتدهور، والضعف، والعدمية، وإنكار الحياة.

أما غرائز التقوى والتضحية بالنفس سوف تصبح خطرًا على الجنس البشري، حيث الإرادة التي تنقلب ضد الحياة.

وهنا يتسائل نيتشه[٢٤٠]: هل الإحساس بالخطأ أو الاستبطان كلاهما يحددان العدمية المسيحية، بوجه الحصر الطريقة التي تنفي المسيحية بها الحياة.

وعلى الرغم من ذلك، هناك من يتشكك في موقف نيتشه من المسيحية.

لقد كره نيتشه المسيحية[٢٤١] إلى حد أنه فضح أخطاءها الجوهرية،إذن هي تستحق النبذ شكلاًومضمونًا، ولكنه بشر بآرائه هذه بحماس النبي، ولا يمكن أن يكون النبي (إنسانًا غير متدين) فقد كتب لصديقه (فون كيرزدورف) يقول:

"إذا كانت المسيحية تعني الاعتقاد بشخص أو حادثة تاريخية، فإنها لا تفيدني بشيء. أما إذا كانت تعني بالحاجة إلى الخلاص، فإني أستطيع أن أثق بها".

لقد شن نيتشه حربًا شعواء على المسيحية[٢٤٢]، إلا أنه لا يمكن التفكير في فلسفته بدون المصادر المسيحية، ففي عروقه – على حد تعبيره – تجري دماء رجال الدين فبغضه لكل ما هو مسيحي لا يجد تفسيرًا إلا انطلاقًا من عجزه عن التخلص من المسيحية.

إذن، فقد كان عداء نيتشه للمسيحية عداءً ظاهرًا[٢٤٣] يخفي وراءه حنينًا إلى المسيحي القوي وإلى ديونيزوس أو المخلص، فالإله هو الشخصية الوحيدة في قصة نيتشه الدرامية، فيتحول الإنكار إلى توكيد تكون فيه (لا صورة من نعم).

أما موقف نيتشه من المسيح نفسه فيتبلور ذلك في كتابه (خصم المسيح)[٢٤٤] الذي اعتبره البعض مؤلفًا ثانويًا له نبره سجالية، وباندفاع عدواني مشتط ضد المسيحية،بينما يرى فيه بعض الدارسين المدققين النيتشويين العمل الأكثر أهمية وخطورة إلى جانب مؤلفه (هكذا تكلم زرادشت).

وخصم المسيح Der Antichrist أي النقيض والمناقض الذي يضع نفسه موضع النقيض، وهو الضد. وهناك من المترجمين العرب من ذهب إلى ترجمته: بعدو المسيح، وهي إمكانية مغرية أيضًا.

والمسيح[٢٤٥] عند نيتشه يمثل لحظة جوهرية من لحظات العدمية: لحظة الإحساس بالخطأ بعد الإذعان اليهودي، لكنه دائمًا المشروع نفسه مشروع الانتقام من الحياة والعداء لها.

ورغم كل ما سبق، إلا أن نيتشه يؤكد على أن الاهتمامات الميتافيزيقية[٢٤٦] نفسها عن العالم هي محض أحلام[*] Dreams، فالأحلام فقط هي التي تفسر له أصل الميتافيزيقا، ومن دون الأحلام لا يمكن للإنسان أن يجد سببًا حقيقيًا يفصل بين العالم الحقيقي وغير الحقيقي.

بالإضافة إلى ذلك نجد موقف نيتشه ضد الغريزة اللاهوتية نفسها فيقول: "أنا ضد الغريزة اللاهوتية أخوض الحرب،ولقد وجدت آثارها في كل مكان، كل من يحمل دمًا لاهوتيًا في شرايينه، يقف منذ البدء منحرفًا وغير نزيه من كل الأشياء، وتلك الحالة التي تنتج عن ذلك تسمى (إيمانًا)"[٢٤٧].

ويرى البعض أن هجوم نيتشه على الميتافيزيقا[٢٤٨] يرجع إلى أن المقولات الميتافيزيقية تتخذ اللغة وسيلة ميلادها وتداولها، وربما يكون نيتشه واضعًا لنظرية في اللغة تعمل على إدراج الميتافيزيقا الحديثة تحت إعادة التفكير في طبيعة العلاقة بين الكلمات والأشياء.

ولكن يأتي مارتن هيدجر ليثبت في النهاية أن نيتشه فيلسوف ميتافيزيقي ويقول عنه..

"إنه الميتافيزيقي[٢٤٩] الغربي الحقيقي وهو المخاطرة، وذلك من خلال وضع الاعتبار الحقيقي لكتابات نيتشه في سياقها الحقيقي".

في حين رأى البعض الآخر أنه لا جدوى من البعد الميتافيزيقي عند نيتشه:

من المؤكد أن معرفة البعد الميتافيزيقي لنيتشه[٢٥٠] ستكون معرفةعبثية لا طائل من ورائها، وسوف تكون أكثر عبثية من معرفة تركيبة الماء لبحار يغرق.

الموقف الميتافيزيقي وعلاقته بالإلحاد النتيشوي:

يقول نيتشه[٢٥١]:

"أنني أحسد ستاندال، فقد سبقني إلى حمل نكته إلحادية، كان من الممكن أن أكون أنا قائلها (إن العذر الوحيد لله هو كونه غير موجود، لقد قلت بدوري في موضع ما: ما هو أكبر اعتراض على الوجود إلى حد الآن؟ الله ...".

(ونحن نقول لنيتشه كان يجب عليك تحديد معيار الوجود واللاوجود، والوجود من عدم، فالحديث عن أن الله غير موجود هو اعتراف ضمني بوجوده، بل ومردود عليه على مناحي متعددة، ولكن للأسف لم يقدم لنا نسقًا فلسفيًا متكاملاً عن عدم وجود الله بأدلة عقلية ومنطقية متكاملة حتى نقدم له – بدورنا – أدلتنا على عكس ذلك).

ولذلك نجد نيتشه يعلن إلحاده بأسلوبه الساخر[٢٥٢]:

"الله وخلود الروح والخلاص كلها مفاهيم لم أعرها اهتمامي، ولا منحتها وقتي، ولا حتى كصبي، لعلني لم أكن صبيانيًا بما فيه الكفاية لمثل هذه الأشياء. إن الله جواب بهيأة قبضة اليد وقلة لياقة تجاهنا نحن المفكرين. بل هو في الواقع مجرد ممنوع بهيأة قبضة اليد: لا ينبغي أن تفكروا".

وعلى الرغم من أن نيتشه رفض التشاؤمية العميقة عند شوبنهاور[٢٥٣]، فقد بقيت معه (صورة إلحادية) عن كون تحركه إرادة عمياء، وليس لها أي معنى مطلق ولا أي عزاء .. وكان يقول كان شوبنهاور يبشر بالزهد وإنكار الحياة، أما أنا فسوف أبشربالتأكيد المرح للحياة[*].

ولم يكن إلحاد نيتشه متخفيًا بل واضحًا (إن الله قد مات) وهي مقولة شديدة الغموض – كما يري البعض – وقد فسروها على أن الناس لم يعودوا يؤمنون بالله ويفسرها الآخرون بأن الله ليس له وجود[٢٥٤].

ويرى جيل دولوز أنه لا يمكن فهم فلسفة نيتشه إلا في إطار تعدديتها الجوهرية .. إن التعدد هي طريقة التفكير الفلسفية، إنها الكفالة الوحيدة للحرية في العقل الملموس والمبدأ الوحيد (لإلحاد عنيف)[٢٥٥].

لقد ماتت الآلهة، ولكنهم ماتوا من الضحك، وهم يسمعون إلهًا يقول لا إله غيره .. إن موت الله حدث ذو معنى متعدد، لذا لا يؤمن نيتشه ولا الأحداث الجسام الصاخبة إلا بالتعدد الصامت لمعاني كل حدث. وكل هذا يعود إلى فن الفلسفة الأرضي (فن التفسير)، وحتى التقويم هو وزن وفكرة الجوهر لا تضيع فيه بل تأخذ معنًا جديدًا، لأن كل المعاني لا تتساوى مع بعضها البعض.. إنه فن الفلسفة المرهف، ولكن الصارم (التفسير التعددي)[٢٥٦].

ثانيًا: الأخلاق والدين من منظور انقلابي:

(توابع الموقف)

"إن موت الإله يعني تناقض قيمة الدين والأخلاق والميتافيزيقا تناقضًا ذاتيًا"[٢٥٧].

"لا الأخلاق ولا الدين[٢٥٨] يلامسان نقطة واحدة من الواقع في المسيحية، لا شيء سوى حشد من العلل الوهمية (الله – النفس – الذات – الروح – الإرادة الحرة) حشد النتائج الوهمية (خطيئة – خلاص – رحمة – عقاب – غفران – خطايا) علاقات بين كائنات خيالية الله – أرواح – أنفس".

وقد دعا إلى بناء الأخلاق والدين على أساس نظرية التطور[٢٥٩]، "وأن عمل الحياة لا يتجه إلى تحسين حال الأكثرية من الشعب، ولكن إلى خلق عباقرة، ورفع أعظم وأسمى الرجال".

"ولذلك فإن كل مبدأ تتم صياغته من قِبَل الدين والأخلاق يحمل هذا الخطأ، إن القساوسة والمشرعين الأخلاقيين هم مصدر هذا الفساد الذي أصاب العقل"[٢٦٠].

ولذلك فإن نيتشه يرى أن الأزمات الدينية الحقيقية لا يعرفها عن تجربة..

"لم أتمكن أبدًا من فهم إلى أي مدى يمكن اعتباري (مذنبًا) وفي الوقت نفسه ينقصني المعيار ذا المصداقية لمعرفة ما تأنيب الضمير؟ ولكن يبدو لي أن تأنيب الضمير لا يستحق التقدير، إنني لا أحب أن أتنكر لعمل بعد القيام به، وإن تأنيب الضمير ضرب من الإصابة (بعين شريرة)"[٢٦١].

أما موقف نيتشه من المسيحية، فيبدو في أنها "لم تدع شيئًا يفلت من الفساد الذي أحاطت كل شيء به، لقد جعلت من كل قيمة لا قيمة، ثم تذكر بركات أعمالها (الإنسانية) أن تقوم بما يزيل حالة البؤس، فذلك ما يتعارض مع أعمق مصالحها، فهي تحيا من حالات البؤس، فمن إنتاجها إذلال ذاتي، وإرادة الكذب بأي ثمن" .. تلك هي بركات المسيحية في نظر نيتشه[٢٦٢].

فقد بلغ المقياس الأخلاقي ذروته في تعاليم المسيح الذي نادى بالمساواة بين الناس في الحقوق، وتفرعت عنه تعاليم المبادئ الاشتراكية والديمقراطية .. إن الحياة التي تقوم على مثل هذه المبادئ هي حياة في طريق الانحلال والانحدار، هي تمجيد الشفقة وتعظيم التضحية والشعور بالعطف على المجرمين[٢٦٣].

والمسيحية تعرف بأنها ديانة الشفقة .. إن الشفقة تمثل العنصر النقيض للأحاسيس المنشطة التي تنمي طاقات الأحاسيس الحياتية: إن لها فعل العامل الكئيب المرهق[٢٦٤].

ونيتشه ضد العدالة المتساوية المسيحية: ذلك السم المندس في مبدأ (حقوق متساوية للجميع)[٢٦٥].

كذلك يهاجم نيتشه العفة في المسيحية، ويرى أن التمسك بالعفة تحريض عمومي على مناقضة الطبيعة، كل احتقار للحياة الجنسية، وكل تنجيس لها عن طريق مفهوم (النجاسة) هي الخطيئة الحقيقية في حق الروح القدس للحياة[٢٦٦].

تعقيب ← وكأن نيتشه يعلن لنا – على الملأ – أن احترامنا للجسد هو احترامنا ذاته للطبيعة المقدسة، وقهر الجسد هو قهر للروح المتلاحمة مع الجسد.. فقداسة الجسد من قداسة الروح وقداسة الوجود كله، ونيتشه هنا يعمق مفهوم العفة.

ثم يتحدث عن الحب ويتعاطف مع المسيحية في ذلك[٢٦٧] .. إن أبدع حيلة تعطي للمسيحية التفوق على الديانات الأخرى تتلخص في كلمة: كونها تتحدث عن الحب، وبذلك صارت (ديانة غنائية).

كما توجد في المسيحية روح أبيقورية تنبع من فكرة كون الإله لا يستطيع أن يطلب من الإنسان (وهو مخلوقه وصورته) إلا ما قد يستطيع إنجازه .. إذن الفضيلة والكمال المسيحي يصيران في متناول الإنسان.

ولكنه يقول – أيضًا[٢٦٨] – "إن عقلنة الرغبات الحسية تسمى الحب: إنها انتصار عظيم على المسيحية، وهناك انتصار آخر هو عقلنة العداوة، ويتمثل ذلك في أن ندرك إدراكًا عميقًا القيمة الهامة في أن يكون للمرء أعداء".

ويؤكد نيتشه رفضه على أن يكون المسيحي مسيحيًا باللسان لا بالقلب.. "أريدكم أن تتعلموا السلوك المسيحي مادام دأب القلب ينقصكم"[٢٦٩].

ولذلك نرى نيتشه يقول: "عندما يتبنى الفوضوي كناطق باسم الفئات المتدينة المطالبة بالحق والعدالة والمساواة في الحقوق، فإن يفعل ذلك تحت وطأة جهله، وأن كل الكائنات اليائسة تجد متعة في التشكي"[٢٧٠]..

ويتحدث نيتشه عن الخير والشر وعلاقته بموت الإله: "لقد قتلنا الإله، وبقيت عقدة الذنب تروي عطشنا للخلاص، في حين أنه ينبغي لنا أن نتجاوز هذا الاغتيال لنذهب إلى ما وراء الخير والشر، وأن نخلق وجودًا طبيعيًا متحررًا من أي زهد، ومن كل أشكال الاغتراب"[٢٧١].

وأخيرًا ينتهي نيتشه إلى رفض قيم الدين المسيحي واستبدال أخلاق القوة بتلك القيم..

يقول نيتشه[٢٧٢]: "لم يبتعد المفكرون الأحرار الفرنسيون من فولتير إلى أوجيست كونت عن المثل الأعلى للديانة المسيحية، فقد ذهب كونت إلى الدعوة إلى محبة الآخرين ومساعدتهم، كذلك ذهب شوبنهاور في ألمانيا وجون ستيورات مل في إنجلترا إلى الدعوة إلى نظرية الشفقة ومساعدة الآخرين .. ولكن داروين قد أزال (الأساس اللاهوتي) الذي تقوم عليه الأخلاق الحديثة".

ويقول: "إن ما نحتاج إليه في هذه المعركة التي نسميها الحياة هو القوة لا الطيبة، والكبرياء لا الخضوع، والذكاء الحازم لا حب الغير .. إن المساواة والديمقراطية مناقضة لنظرية الانتخاب الطبيعي وبقاء الأصلح .. وإن هدف التطور هو العباقرة لا جماهير الشعب".

٧- العلاقة بين الأخلاق والسياسة عند نيتشه:

أ- الأخلاق والسياسة بناء نيتشوي:

ويبدأ هذا البناء النيتشوي – من وجهة نظرنا – بموقفه من الدولة.

إن نيتشه[٢٧٣] لا يؤمن بالدولة، وقد تركز إيمانه على الفرد البطل أو الإنسان الأعلى.. إن المشاعر القومية الملتهبة عند نيتشه غير موجودة.

وقد اعتبر نيتشه الدولة[٢٧٤]، وليس الدولة المدنية فقط، اعتبرها صنمًا جديدًا، لأنها تمنح كل شيء للفرد، لكن ليس بصورة مجانية، إنها تشترط التعبد من طرف أفرادها أو مواطنيها، ولا يبدأ الإنسان الذي ليس هو بفائض إلا إذا انتهت الدولة، فالدولة لا تحمي إلا الفلسفة التي لا تثير خطرًا، لكن الفلسفة الحقة – حسب نيتشه – هي الفلسفة الخطيرة ..

ومما لاشك فيه أن الدولة هي بناء اجتماعي ولذلك نرى (أسبير)[٢٧٥] يكتب مقالته الهامة عن أعمال نيتشه من زاوية اجتماعية، وفي ارتباطها بعلماء الاجتماع، وهو يناقش الفكرة الأكثر أهمية، وهي أنه كان يرى الواقع كبناء وتركيب اجتماعي Social construction، وفكرة البناء الاجتماعي تتعلق بالمعتقدات، والقيم، والقوة والفاعلية، وقوة

الفرد – على وجه الخصوص – وهي المتضمنة في هذا التحليل، إذن فإن مفتاح أعمال نيتشه هو القوة Power، والبناء الاجتماعي وعلم الاجتماع ونظرية القيم وقد كان لأفكار نيتشه الاجتماعية[٢٧٦] نتائج معاصرة والتي يمكن أن تكون مفيدة اليوم، وخاصة أنه يساهم فيما يتعلق بالحقيقة والنظرية والوجود. فقد كان حريصًا على أن يرتبط الوجود الإنساني بالظروف الاجتماعية.

ومن هنا كان النقد النيتشوي للتفكير الاجتماعي والسياسي هامًا للغاية، إذا أخذناه بشكل معاصر، وفي إطار التطور الأخلاقي الخاص به،

وهو ما نسميه اليوم بمذهب الاستدلال الاجتماعي Social constructivism إلى جانب أن فكرة البناء الاجتماعي ومذهب الاستدلال الاجتماعي هذا قد وضع أسسه فيما بعد لوكمان ١٩٦٦–١٩٩١ اتساقًا مع مشروع التنوير الذي وضع صيغته أوجيست كونت كتدرج من الدين إلى المرحلة الإيجابية حيث يصبح العالم مسيطرًا عليه بواسطة العلم، وقد تأثر نيتشه بأوجيست كونت وهربرت سبنسر.

ومن هنا كان اهتمام نيتشه[٢٧٧] بالاستخدام الصحيح والمجدي للتاريخ، وذلك من خلال العصر الألماني الذي عاش فيه، وليس ذلك عن طريق الثقافة الألمانية وحدها، بل بالرجوع إلى النظرة الأفلاطونية الضرورية التي تخلق مجتمعه الجديد، فالتعليم والثقافة شيئان مهمان في الحياة الألمانية السياسية، وذلك من أجل الأفضل دائمًا.

ولذلك توقف نيتشه أمام نقاط هامة[٢٧٨] وكأنه يصف النموذج السياسي. وقد وضع استنتاجاته كما كان يأسف وفقًا للوضع السياسي القائم آنذاك. ويود لو طمست كل الأباطيل، ويؤكد على الآمال التي من خلالها نصل إلى الكمال التام ولكن كيف يتم ذلك؟

من خلال امتلاك العقلية النيتشوية لتاريخ الفلسفة السياسية، فقد قدم لنا رؤيته عن شخصية المواطن الحقيقي وأساليب معيشته، وقدم أساليب الحكم Typs of regims وقواعد القانون والالتزام السياسي political obligation إلى جانب معرفة حدود السلطة القانونية (الشرعية) The limits of legitimate authority وحدودالعلاقة بين الخير المشترك common good والخير للفرد good of individual .. ومن هنا نجد نيتشه يستدعي الأفكار الحديثة عن المعرفة والحرية والتأسيس السياسي، إلى جانب معالجة الأفكار الأخلاقية والفضائل العقلية بل و(عناصر الأخلاق الحديثة) من خلال التاريخ والفن والدين، ثم أخيرًا العلاقة بين الفضيلة والسياسة، مستخلصًا في النهاية النماذج والأشكال الممثلة في السياسة[٢٧٩]، وعلى رأسها كيف يمكن الحديث عن الفضيلة في السياسة[٢٨٠]؟

كما يضع نيتشه المفهوم الحقيقي لنظام الدولة في ظل الأخلاق والدين[٢٨١].

فقد جمع بين السياسي، والاقتصادي، والأخلاقي في منظومة تخص الفكر النيتشوي[٢٨٢].

ثم تحدث عن الحاكم بوصفه خادمًا[٢٨٣]، وإن كان لنا تعليق على ذلك[*].

ولذلك كانت رؤية نيتشه للسياسة صادمة إلى أقصى حد، فهو يرى أن السياسة هي دعارة العقل .. السياسة موت للحقيقة[٢٨٤].

ب- الأخلاق والسياسة بين الحرية والديمقراطية

(منظومة قيم إنسانية)

لقد كُتبت مقالة تستمر في مناهضة الاعتقاد بأن السياسة لم تكن مركزًا لاهتمام نيتشه بل هي محاولات لانقلاب القيم عنده وخاصة فيما يتعلق بالديمقراطية، مما يدل على ضيق الأفق في النظرات السياسية .. الحقيقة أن كتابات نيتشه قد خدمت السياسة الديمقراطية بحق من خلال نقد النظرية السياسية الديمقراطية وضد سمومها[٢٨٥].

ونيتشه كمفكر سياسي يعلو على السياسة، ولذلك نجده يضم السياسة مع حب الذات والأنانية، لأن نيتشه أراد لنفسه أن تكون من نوع خاص لا تخشى الاعتراض على الأباطيل.. ولذلك نجده ينظر إلى الدولة الأوروبية نظرة كوميدية، وخاصة فيما يتعلق (بالديمقراطيات)، وكثيرًا ما كان يذم ادعاءات الامبراطورية كما أنه أزدرى قومية الألماني، بل إنه رأى الدولة الألمانية والسياسة الألمانية دون المستوى، فهي مريضة وحقيرة sike and petty، وقد عرض نيتشه ذلك (بوضوح) في إنساني إنساني إلى أقصى حد".

وقد حاول البعض إصلاح بعض أقوال نيتشه في السياسة ، ولكنه في الحقيقة في تصوره السياسي الأعلى احتوى كل ما هو أخلاقي وثقافي، مما يؤدي إلى خلق نوع جديد من القيم السياسية[٢٨٦].

تعقيب ← ونحن نقول بدورنا إنها مطرقة نيتشه العنيفة في نقدها الهدام للتقليدي والزائف والمتلون، فليس هناك ما يمنع من البدء بالنقد السياسي القائم في ألمانيا أو غيرها.

ومن الوجهة السياسية[٢٨٧] يعطي نيتشه تصور عن الممارسة العملية في كل النظريات البارزة وفي حركات التطور الاجتماعي في الداروينية الاجتماعية، والفوضوية anarchism والمذاهب الاجتماعية Socialism والليبرالية liberalism، والقومية nationalism، والديمقراطية البرلمانية parliamentary democracy.

ونيتشه يطالب بالحرية، فعلى كل الرؤساء حفظ الحريات لكل الشعوب، وذلك للوصول لأفضل النتائج السياسية، وخاصة إذا حاولوا ربط السياسة بالعلم، ومن أصغر فيلسوف طبيعي حتى أكبر الفيزيائيين(٢٨٨).

ثم يربط نيتشه بين الإنسان الأعلى والديمقراطية والأخلاق. ويرى أن الديمقراطية انجراف يسمح لكل جزء في الإنسان بالانطلاق في المسرات والرغبات، ومعنى ذلك انحلال التماسك وتتويج الفوضى، ومعناه أيضًا استحالة ظهور الرجال العظماء، فكيف لأعاظم الرجال الإذعان إلى غش وأكاذيب الانتخاب؟ ما الفرصة التي تقدمها الانتخابات لأعاظم الرجال؟

إن الشعب يكره صاحب الروح الحرة عدو القيود، كما تكره الكلاب الذئاب، فكيف يمكن أن يترعرع الإنسان الأعلى في مثل هذه التربة(٢٨٩).

ولذلك فالإنسان الأعلى ضد كل الناس متساوون وكل الناس متشابهون(٢٩٠).

وقد ربط نيتشه بين موت الإله، والسياسة، والديمقراطية، وموقف الإنسان الأعلى من الحرية(٢٩١).

ثم يتحدث نيتشه عن الدولة وعلاقتها بالأخلاق الدينية فيقول: "مادامت الدولة قد عرفت أنها تحت وصاية جمهور أصغر، وطالما عرفت إن كان عليها الاحتفاظ بالدين لنفسها أو تلغيه، فإنه من المستحيل جدًا أن تقرر الإبقاء على الدين، لأن الدين يضمن طمأنينة النفس في مرحلة الإحباط، مرحلة الحرمان والرعب والشك، أي في المرحلة ذاتها التي تشعر فيها الحكومة بأنها عاجزة عن فعل أي شيء بشكل مباشر كي تخفف الآلام المعنوية للفرد"(٢٩٢).

ومن المعروف أن مفاهيم الحرية والديمقراطية تخلق روح المساواة بين المواطنين، فهل كان نيتشه يسعى لمثل هذه المساواة والعدالة؟؟ بالطبع لا، حيث ينبثق عن المساواة الاشتراكية والفوضوية وكلها متفرعة من الديمقراطية، فإذا كانت المساواة السياسية عدلاً، لماذا لا يساوي بين الناس في القوة الاقتصادية؟ ولماذا يكون بين الناس زعماء وقادة؟

يقول نيتشه "لا مساواة بين الناس، إن العدالة لتصرح في دخيلتها أن لا مساواة بين الناس". إن طبيعة الإنسان تأبى عليه المساواة"(٢٩٣).

تعقيب ← ولذلك لا نرى أي شكل من أشكال العقد الاجتماعي Social Contract عند نيتشه بين الدولة والمواطنين، مادامت فكرة العدالة غائبة، والمساواة لا وجود لها، وسيطرة الإنسان الأعلى والأقوى هي السائدة.

جـ القوة كمفهوم سياسي بارز وعلاقته بالأخلاق عند نيتشه:

إن الدولة عند نيتشه لم تنشأ بتعاقد الأفراد فيما بينهم، ولكن الذي أنشأ الدول جبابرة من الغزاة والسادة الأقوياء، ومن ذوي المقدرة الحربية والتنظيم العسكري، الذين استخدموا مخالبهم المخيفة في سكان بلاد تفوقهم عددًا .. إذن ما قيمة العقود مع من خلق بطبعه ليكون قائدًا وسيدًا قويًا؟

ولكن هذه الفئة الحاكمة فسدت بسبب الفضائل الكاثوليكية الضعيفة أولاً، والمبادئ الشعبية العامية الناجمة عن الإصلاح الديني والزواج من الطبقات السفلى ثانيًا[٢٩٤].

ونجد القوة بأجلى صورها ومظاهرها في السياسة، فالضعفاء عديمو الحول والقوة يطالبون أولاً (بالعدالة) من جانب هؤلاء الذين يملكون القوة ويطالبون ثانيًا (بالحرية)، أي أنهم يريدون أن يتخلصوا من هؤلاء الذين بيدهم القوة، وفي الدرجة الثالثة يطالبون (بالتساوي في الحقوق)[٢٩٥].

ولذلك يقول نيتشه[٢٩٦]: "لقد شعرت أن أقوى وأسمى إرادة للحياة لا تجد تعبيرًا لها في الصراع البائس من أجل البقاء، ولكن في إرادة الحرب – إرادة القوة – إرادة السيادة".

أخيرًا فقد استخدم نيتشه القوة في السياسة، وما يتبع ذلك من علائقية بالمنظومة الأخلاقية وهذا ما سوف ندلل عليه ...

فقد درس نيتشه[٢٩٧] المجتمعات الحديثة كما تبدو عنده محددات القوة وما نهايتها، ثم يعقد علاقة بين السياسة، والنظام الاقتصادي، والنقابات الاجتماعية، والعلاقات الشخصية، وذلك في حين يرى البعض أن نظام نيتشه في السياسة هو هروب من كل من السياسة والأخلاق أو إخضاع السياسة للثقافة – بوجه عام – بل هناك من جعل نيتشه ضد الحداثة against Modernity.

تعقيب ← وهنا نرى نيتشه قد استطاع بعبقرية ملحوظة أن يتخطى اللحظة التاريخية والبعد الزماني والسياسي لألمانيا، ويبدو ذلك واضحًا في شمولية البعد السياسي، وانفتاحه على مجالات الحياة الأخرى بل ومستقبل الإنسان في ظل عالم لا يكاد يلتقط أنفاسه من سرعة التغيير، وفي ظل هيمنة القوة (بأشكالها) على الحياة السياسية.

السياسة والقيمة الجمالية (إبداع جديد):

نقصد من هذا العنوان إلى أي حد كان الإبداع النيتشوي يعلن وجوده في كل لحظة حتى لحظات السياسة، والصراع، والقوة، إبداع يخلق لمسة جمالية هادئة وسط صراع سياسي صاخب ومدمر ومرعب..

كتبت مقالة تناقش الجمالية النيتشوية[٢٩٨] التي تقرب بين الفعل السياسي والتصور الهندسي للسياسة عنده .. كما أنه حاول اختيار الكيفيات المناسبة لتحقيق مستقبل أفضل، وما الوسائل المستخدمة لذلك، وخاصة فيما يتعلق بالقانوني الشرعي Legitimate ولذلك كان نيتشه يفكر في الفعل السياسي من داخل المصطلح الجمالي، وذلك في فنه الذي يشتمل على القصد السياسي مستعرضًا شكل الثقافة الاجتماعية، والآمال المعقودة عليها، من خلال كتاباته وخاصة كتاب ما وراء الخير والشر.

ولذلك يرى البعض أن كتابات نيتشه في السياسة ما هي إلا تربية[*] وتهذيب للتفكير السياسي الديمقراطي.

وفن التربية السياسية عند نيتشه[٢٩٩] يجعله يؤكد فيه على إرادة القوة .. حيث تحدث عن الإنسان الذي لم يوجد بعد، من أجل السيادة على هذه الأرض مع الاهتمام بالعدمية (الإنسان الأخير، كما هو في (ما وراء الخير والشر).

ويقصد نيتشه من كل ذلك السير في اتجاه الروح، والكفاية الأصيلة لصناعة الأحكام القيمية ولذلك فكل نصوص نيتشه تصف ما هو "إنساني إنساني إلى أقصى حد".

وأخيرًا[٣٠٠]: إن الموقف الجمالي تجاه الحياة – عند نيتشه – يتطلب مشروعًا فرديًا قائم على التحقق الذاتي Self realization، ومن هنا يمكن اعتبار نيتشه بطلاً في هذا المجال، حيث تبدو العلاقة بوضوح بين الاستاطيقا، والأخلاق، والفعل السياسي، وإن لم تكن موجودة في الأساس.

النتائج:

(١) نتائج متعلقة بالشخصية النيتشوية وفضائها الإبداعي

إن الإنسان هو ما يريد لنفسه أن يكون، فهو ليس شيئًا آخر غير حياته .. وهكذا كان نيتشه.

لقد تتلمذ نيتشه على الحياة والطبيعة، وتعلم التحدي البطولي، فأصبح بطلاً Hero وتعلم الشغف الطفولي فأصبح طفلاً Child.

- فأنت العاقل في تمردك والمتجاوز الترانسندنتالي في فلسفتك وطفل في تهورك.
- فهل منا من يقبله بكل هذه التناقضات أم نلقي به من فوق أعالي جبال الهمالايا مثلاً.
- وحتى لو فعلنا وقتلناه لن يقتل نيتشه وإلا لما دارت حلقات النقاش حول من مات بفكره وتناقضه وتأزماته، فقد تجاوز الحياة بحياة، والوجود بوجود محققًا جنون الفكر أو فكر الجنون في الأدب والفن والدين والسياسة، أو في تموجات الفكر الأخلاقي وانعكاساته الاجتماعية.

وكأن نيتشه وبأعلى صوته يختم كل تصوراته بقول واحد: هو أنا ذا .. أنا نيتشه.

وإذا سألنا نيتشه من أنت؟

- أجاب: أنا فيلسوف وفنان مدمر، وبناء لا أرضى بدور التطلع والتأمل والمشاهدة، بل أرضى بدور الصنعة والأداء والتحقق الذاتيSelf realization لدى مقدرة صوفية (بمفهومي) ولدى مقدرة إلحادية أيضًا.
- ربما نرى نيتشه يمتلك طاقة اعتقاد ولكنه اعتقاد وإيمان يتوجه إلى تأكيد الذات بتحطيم الآخر، إيمان بالعلو الفردي وليس بالقبس الإلهي.
- إن الفلسفة عند نيتشه تكشف لنا عن عمق غايات الحياة، إذن يجب على الفلسفة أن تحررنا من التعصب، وضيق الأفق، والتخندق، والتقليدية المميتة.
- إن فلسفة نيتشه هي مذهب حيوي Vitalism إلا أنها ليست سطحية الحياة، بل الحياة العميقة المتجذرة في أحشاء الواقع .. فلسفة تبحث في التفاصيل، وهنا يكمن شيطانها، فالشيطان يكمن في التفاصيل الصغيرة، وفي انحرافات الغرائز، وتغير وجهات النظر إليها.

لقد صدر عن نيتشه عبارة (العالم عميق)، وفي رأينا أن في هذه العبارة تكمن فلسفة نيتشه الوجودية، فالعالم عميق، وإنسان هذا العالم عميق، والأخلاق عميقة .. نيتشه إذن أنت تنفي السطحية وتنقب بأظافرك في باطن الزمان، والإنسان، والسلوك لكي تخرج مكنوناتهم إنك تحرض الإنسان على الوجود (بشدة) لأنه الإنسان الأعظم والأعلى.

لقد وصل نيتشه إلى تجاوز التأمل .. إن الوجود الماهوي للشخصية النيتشوية إنما هو النمط المتعالي للإحساس المفعم بالذاتية الخالصة، فقد حقق نيتشه ذاته وتجاوزها، ولكنها اصطدمت بإطار العدمية والمفارقة.

أهو العلو أم الإحساس المتعالي بالشخصية كما يريدها أن تكون، وليس كما هي عليه باستنفاد كافة إمكاناتها؟

ولكن كيف نواجه عبث الحياة وتضارباتها الأخلاقية وازدواجيتها المشئومة؟ إذن لابد من (ذاتية خالصة) تشغل المحور الرئيس في فلسفة نيتشه.

ولذلك لم يلجأ نيتشه إلى الرمزية Symbolism، لأن الكاشف (نيتشه) لا يريد سوى البوح التلقائي، فهو لا يخشى شيئًا سوى شيئًا واحدًا وهو خشية ألا تصل أفكاره إلى الآخرين في زمنه أو في أزمان أخرى كما هي ببصمات نيتشوية.

وإذا كان الحال كذلك فمن أين يأتي التعقيد في مذهب نيتشه؟

إنما يرجع – عندنا –إلى التوازن الغائب بين الحدس النيتشوي البسيط جدًا ووسيلته في التعبير عن حدوسه.

– موقف إنساني وذاتي للغاية من نيتشه:

إنه موقف نيتشه من الأنا، والآخر، ودور المرأة المؤثر في حياته وكتاباته .. يعبر عن التناقض الفج، ولكنه المقبول من نيتشه المبدع ..

ربما يكون إحساس نيتشه بالنساء، وهم من أعانوه وتواصلوا معه في رحلة حياته، حتى النهاية، وكان وجودهم إلى جواره بمثابة المرشد والمعين – هو ما جعل نيتشه يسعى إلى استبعادهم من حوله، ربما لإثبات أن نبوغه (شخصي محض) وكأن ليس للنساء دور في ذلك، إنه حليف الإنسان الأعلى ونصير الفردانية .. إنها لحظة النبوغ والعبور والعبقرية. لحظة إبداع صافٍ، حتى وإن قادتنا اللحظة النيتشوية إلى المفارقة والعدمية.

ولكن الحقيقة ان المرأة كانت ومازالت عند نيتشه وغيره هي الأصل فقد أحاطت به النساء من كل جانب، جانب القرابة (الأم –الأخت)، وجانب المرأة الحبيبة (لو سالومي – كوزيما) المرأة وجود صانع للوجود النيتشوي.

– موقف سيكولوجي إلى أبعد حد:

في البداية يؤكد نيتشه على أن الإنسان ليس عقلاً فقط بل واللاعقل، وليس الوعي فقط بل واللاوعي، وليس مركزية الأنا فقط، بل ومركزية الآخر في الأنا، وعند نيتشه نرى بوضوح تلاحم النواحي الجسمية والعقلية والمزاجية فهو يحتاج إلى ضرب من الدراسة في نظريات الأنماط الشخصية.

إذن كان يجب أن يخضع نيتشه لتحليلات سيكولوجية عديدة تربط الحياة النيتشوية بالوجود العام وبأفكاره وفلسفاته وحياته.

كما كان يجب الرجوع إلى بعض الكتابات الهامة – من وجهة نظرنا – لبعض الوجوديين من أمثال كارل ياسبرز، ومنها علم النفس المرضي العام ١٩١٣ – سيكولوجية الأفكار الفلسفية ١٩١٩ – الايمان الفلسفي ١٩٤٨ – العقل والخرق في هذا العصر ١٩٥٠.

ويتبلور عند نيتشه مفهوم الإعلاء أو التسامي Sublimation وهو فوق المنطق والعقل، ويشمل أيضًاالتسامي بالغريزة الجنسية.

والإعلاء يدفعنا إلى التعامل مع أفكار نيتشه بحساسية شديدة.

فإذا سألنا نيتشه ماذا تريدنا أن نفعل؟

يجيب: أريد المرونة Flexibilty من هنا جاءت أهمية الدراسة السيكولوجية في حالة نيتشه، حيث يوجد إعلاء للشعور النيتشوي. وهناك ذات تستخدم تلك (العقد النفسية) التي يتطلبها كل نشاط فلسفي أو فني خاص بالإبداع الفلسفي أو الفني.

فالإبداع الفلسفي والفني –كما نرى – ظاهرة غامضة لا يمكن تفسيرها وتصورها من شتى جوانبها.

إن نيتشه – عندنا – يمارس فنًا جديدًا هو فن إزالة الأقنعة عن كل الوجوه، وكل ما هو سيء وغامض ومزيف في الأخلاق، وكأنه يكشف النقاب، ويزيل الصبغات المزيفة، لقد كشف عن النفس الحقيقية (في الأخلاق)، وما أحوجنا اليوم إلى هذا الفن الذي يكشف المستور ويعلي من قدر القيمة الحقيقية للأشياء.

ومن هنا نرى – ولا عجب في ذلك – أن نيتشه يخلط الأدب بالفلسفة فيتشجان سويًا برداء أبيض بلون النور، مشرق كالشمس، مولع باللعب كالطفل البريء.

وهنا تندمج الروح (الأدب) بالعقل والحكمة (الفلسفة) اندماجًا جسورًا معلنة عن وحدة الذات رغم تنوع أفعالها الإنسانية ما بين الحساسية والعقلانية، ما بين نوازع النفس وأحكام العقل.

- نيتشه والإبداع (خالق الجديد):

- سؤالي عن الأحياء والأموات: هل الأحياء هم من يدفنون الموتى، وبالتالي يذوب التقليد والجمود، أم أن الموتى هم من يدفنون الأحياء وذلك لقتل الموهبة والإبداع وسيادة البالي والتقليدي؟

أنه سؤال أكون أو لا أكون تلك هي المشكلة.

- ولكل فيلسوف معطياته الفلسفية، وقدرته البنائية والتأليفية، يمتلك كل ذلك، بالإضافة إلى إبداع خيالي جارف، وفاعلية نزيهة.

والقدرة الإبداعية عنده في أنه يستقدم إلى عالم الوجود أفكارًا (مخلوقات جديدة) لم تكن معروفة من قبل.

- ولكن للأسف كان المبدع في كل زمان ومكان موضع امتهان وتحقير من جانب الذين لا يعملون شيئًا، ولا يقدمون جديدًا، وهذا أدى إلى كراهيتهم للعظماء والأقوياء والمبدعين في عصرهم، كما أنهم يرتدون زي الفضيلة التنكري ليحميهم من المبدعين.

ما سبق هو بمثابة مقدمة ضرورية للدخول إلى عالم إبداعي نيتشوي..

١- نيتشه عاشق التغيير لا يقوى على كتمان حبه للأبد، فهو دائمًا ما يحتاج إلى بريق جديد، ولذلك لا يكفيه بريق عيون امرأة واحدة، بل يرضى ببريق الحياة كلها – كما نرى.

٢- كان عند نيتشه يقين بأنه يساهم بأفكاره الجديدة في تغيير النظرة إلى العالم، وكان يعرف جيدًا ذاته وإمكانياته، ولذلك لم يتردد لحظة واحدة في تغيير هذا العالم المحيط، أو حتى قلب المنظومة المعيارية للإنسان سواء في الأخلاق – السياسة – الدين – الفن ... إنه الزهو النيتشوي أو الأنا في أعظم تجلياتها.

٣- إذن نيتشه – عندنا – هو متعة العقل حين ينفذ إلى صميم الطبيعة، ويكتشف ما فيها من عقل يبعث فيها الحياة، فهو فرحة الفطنة الإنسانية حين تنفذ إلى أعماق الكون لكي تعيد خلقه من جديد.

وهنا تستحضرنا جملة هامة قالها بول فاليري وذلك عند دراسته لمنهج ليوناردو دافنشي "إن الالهة لتجود علينا عن طيب خاطر بمطلع قصيدتنا، ولكن علينا نحن من بعد أن نصوغ البيت الثاني".

٤- إن الإبداع النيتشوي انتصار مطلق للحرية وإنحياز للإبداع في أجلى صوره، وتألق متعدد الأبعاد، فهل يمكن اعتبار نيتشه بهذا المفهوم وهذا التحليل – المثل الحقيقي للمثالية الإبداعية creative idealism فقد تخطى المثاليات التقليدية، ليقفز قفزة بعيدة إلى إبداعية مثالية تشبهه إلى أقصى حد، على اعتبار أن نيتشه هو العيان المتوهج دائمًا؟؟؟

٥- لقد قدم نيتشه وعيًا جديدًا بالوجود متجاوزًا الوعي التقليدي المستند إلى مسلمات وبديهيات غير قابلة للفحص والنقد، فظهرت موضوعات نيتشه ببريق جديد، وكأنها لم تولد من قبل إلا عبر الخيال النيتشوي الجارف.

ولذلك كان نيتشه بمثابة الخروج عن الأنساق الفلسفية المفروضة، فهو التناقض والاستلاب والقفزات السريعة، وكلها سمات للإبداع الحر وتعاطي الفكرة من منظور الولادة الأولى.

- إذن نيتشه هو الإيقاع اللاهث السريع الذي يتناسب – من وجهة نظرنا – مع حالة الإبداع الخصب .. إيقاع مجنون نعم، ولكنه مقبول نعم.

٦- لا شك أن القارئ لنيتشه لابد أن يمتلك حسًا شاعريًا وإبداعيًا شديدًا، لكي تصبح كتابات نيتشه وخاصة (الأخلاقية) على درجة عالية من الوضوح والفهم، رغم أن كتاباته – ملتبسة – غامضة – متناقضة.

وهذا هو ما يعرف بإغراء القراءة. كما يجب قراءة نيتشه قراءة جديدة تتمتع بالعقل والوجدان معًا.

بكل هذا يكون نيتشه وإلا فقد كل بريقه ومصداقيته.

ومن هذا المنطلق يجب ألا ننظر إلى المذهب الفلسفي لنيتشه من زاوية مدى اتساقه أو عدم اتساقه، بل المهم هو عنصر الإبداع الفلسفي في أجلى صوره وأنقى اختياراته. فإذا أردت أن تتعرف على الأنا النيتشوية إرجع إلى "إنساني إنساني إلى أقصى حد" وإلى "خصم المسيح" وإلى "ضد فاجنر" وإلى أفول الأصنام و"مولد التراجيديا" لتتبين بوضوح عظمة الفلسفة النيتشوية.

٧- كأن نيتشه يدعونا إلى قراءته ببطء وتأييد حتى ينكشف الغامض والمستور، وذلك لفهم لغته ومصطلحاته التي حفرها بأناملـه في باطن الوجود الإنساني، لتكون لغة نيتشوية ظاهرًا وباطنًا.

وكأن لسان حال نيتشه يقول! فلتكن قراءتكم لي قراءة جديدة مبدعة متجاوزة .. إذن ينبغي علينا التفاعل مع الإبداع النيتشوي ومطرقته الهادفة المبدعة.

٨- وهنا نستحضر قول شاعر إنجليزي: فقد قال: لاتكن الأول الذي يُجرب كل جديد، ولا تكن آخر من يطرح الباليات جانبًا".

Be not the first by whom the new are tried, Nor yet the last to lay the old aside.

ومضمون الفكرة إذا ما طبقناها على نيتشه: لا تكن أنت مفعولاً به، بل لتكن فاعلاً في أن تـأتي بالجديد، ولـتكن أيضًـا الممهد الفعلـي لطرح الباليات، وليأتي بعدك مـا يسير على نـهجك (إنه النـهج النيتشوي).

٩- أخيرًا: نيتشـه يحتاج منا إلـى عقل متفتح Open minded، فالفكر المتحجر منتهي الصلاحية لا يصلح في تعاطي نيتشه، ونيتشه شغوف بالمطلق، ولو كان حيًا – حتى الآن – لكان مازال يبحث عن القيمة المطلقة.

ولذلك كان نيتشه أكبر زلزال في العصر الحديث وظهرت توابعه في الوقت المعاصر والفكر الفلسفي برمته.

كمـا أصـبح الاغتراب Alienation مقامًـا عند نيتشـه ليس بـالمفهوم الـديني المعتـاد أو بالتصور الصوفي، ولكن بالمفهوم الوجودي والسيكولوجي.

إنه الاختيار الحر في إطار مركزية الإنسان في الكون، إن نيتشـه – كما نرى – ليس هو الجلاد ولا الضحية، بل إن نيتشه قدم عصارة أفكاره عن عصر مزيف لا يصدق هو أننا نعيش فيه، فلم يجلدنا بسوطه، ولا أرادنا التعاطف معه في موقفه من منطلق إبراز كونه ضحية لهذا المجتمع.

نيتشه لا يريد أن يمتلكنا بقهره لنا، ولا أن يمتلكنا بتعاطفنا معه .. فهو لا يمتلك سوى ذاتًا واحدة، فهو فيلسوف قادر دائمًا على إيقاظ المنابع فينا.

فهل هـي تراتيل زرادشت فـي صـعوده الأخير ورحلتـه النهائيـة، أم هـي ميلاد المأسـاة والإنسانية من الروح النيتشوية؟

نيتشه: أعانك الله على الصعود، وأعاننا على تقبل إبداعك وبريق فكرك المنقطع النظير.

(٢) نتائج متعلقة بالأخلاق النيتشوية ومستقبلها

١-إن أفكار نيتشه وخاصة الأخلاقية والدينية بمثابة الضوء الأنطولوجي الباهر شديد الوضوح .. أنوار كثيفة، براءة منقطعة النظير، صراحة خاطفة للعقل والقلب، إذن نيتشه هو اللانمطي، بل هو الفضاء اليوتوبي إن صح التعبير، وهو المناقض للواقع إنه التمرد Revolt.

وسؤالنا هو: هل التمرد النيتشوي يوجه كل نشاطه نحوعصيان القانون الأخلاقي والخروج عن القوانين الوضعية؟ سؤال يستحق التأمل.

يؤكد نيتشه على اللامعنى واللادلالة فهي البديل الطبيعي للحقائق الأخلاقية الجاهزة والمركزة، وللمعاني التي يراها أنها كاملة – بل ونهائية.

٢-لقد أجبرنا نيتشه على النظر بعناية فائقة إلى أنواع الحقائق البشرية ودلالتها السلوكية بتأمل شديد للأفكار الأخلاقية وانعكاساتها على السلوك الأخلاقي، ولذلك كانت أسئلته الأخلاقية تسير في اتجاه علم الوجود أو الأنطولوجيا كما كانت تدور حول المفاهيم والتصورات في الوقت نفسه.

ولذلك كان في عزلة نيتشه تدفق نهر المعرفة، وفي توحده كانت صرخته الأولى (إعلان طبقة السادة وطبقة العبيد) وأخلاق السادة وأخلاق العبيد.

٣-مما لا شك فيه أن نظرة نيتشه للضعيف مرتبطة بالنظرة الدونية للإنسان في المسيحية، وخاصة فيما يتعلق بالشفقة التي تتعارض مع القوة..

في حين أن الشفقة – كما نراها – هي أروع أنواع القوة، فما أجمل أن تكون قويًا، ولكن في الوقت نفسه عطوفًا تشفق على الآخرين، إنها قمة العظمة الإنسانية يا نيتشه.

إن هواجس نيتشه السيكولوجية هي التي حددت لنا كيف يكون القوي Strong والضعيف Weak، ولذلك كان العود الأبدي عنده إلى حد كبير – يكشف التكرار المؤسف لسلوكنا الزائف، وحقيقتنا المفزعة (وهو نوع من جلد الذات).

وهنا تستحضرنا فكرة شبيهة "هي تناسخ الأرواح Transmigration of Soul".

والفرق هو أن التكرار في العود الأبدي يكون لما سبق (الحياة تعيد إنتاج ذاتها)، أما في تناسخ الأرواح يكون العود والتكرار ثانيًا على أشكال مختلفة إنسان – حيوان – نبات ... بحسب الأفعال الأخلاقية.

٤–هل القوة هي الخير عند نيتشه؟ أو بمعنى آخر هل ربط نيتشه القوة بالخير على اعتبار أنهما مقولتان إيجابيتان؟

ولما كانت القوي عنده أفضل من الضعيف، والمسيطر أرفع مكانة من المسيطر عليه، والخير هو المقولة الإيجابية في الأخلاق وعكس الشر)، فإن القوة عنده خير، وبها يمكن تحقيق الخيرات والمكاسب الاجتماعية والسياسية.

وسؤالنا لنيتشه:

لماذا لا تتحول القوة إلى قوة العظماء والأقوياء فكريًا وذوي المبادئ المتماسكة، هؤلاء الذين يرفضون بشدة التسليم بالواقع الزائف، والسياسة الملتوية، ويقفون ضد قهر الإنسان في مواجهة الطغاة ؟.. **مجرد سؤال.**

لماذا لا تكون القوة تزكية للأفضل، وليس صعودًا للأقوى، فنحن في عالم المادة – الذي نعيش فيه – في أمس الحاجة للتحقق الذاتي، وذلك باحترامنا لقيم الحق والخير والجمال، بل ومحاولة الوصول إلى الكمال الأخلاقي.

تلك هي الرؤية التي قد لا تلاقي استجابة من قبل الذات النيتشوية (المتمردة – الازدواجية – العنيفة – ذات البعد الإنساني والسيكولوجي المختلف).

٥–عن قوة الطغيان وطغيان القوة نتحدث ...

سؤال: من أين تأتي قوة الطغيان؟ إنها تأتي من سلب الحرية إلى جانب القهر والخوف من مقاومته، إذن لابد من أن نكون مؤهلين دائمًا – في كل زمان ومكان – لمقاومة الطغيان، وانتزاع الحرية منه لأنفسنا، كما سرق برومثيوس النار من زيوس، وذلك من أجل حقوق الإنسان Rights of Man.

إن بذور سياسة القوة النيتشوية هي تجسيد لرؤية هربرت سبنسر، وتشارلز داروين، فهي موجودة بسخاء عند نيتشه من خلال مقولة البقاء للأصلح The Survival For the Fitterst.

إنه منطق القوة Logic of power بعد أن حذف منه سيادة العقل فالقوة دون عقل هي اللعبة الخاسرة والمسرحية الهزلية. فمازال الذكاء يلعب الدور الأكبر في أصول اللعبة السياسية.

٦-الرأس والقدم (انقلاب القيم):

لقد شعرنا وكأننا نعاني درجة معاناتك نفسها بل مستوى شقاؤك نفسه في إبراز القيم الحقيقية من القيم المزيفة، بل ولانقلاب (القيم) رأسًا على عقب. لقد تفاعلنا مع فكرك الأخلاقي واختلفنا معه أيضًا، لأنه ليس مجرد فكر، بل هو حياة فكر الإنسانية جميعها.

أراء نيتشه مثيرة صاخبة استفزازية، لكنها تعلن عن ألمعية فكره، وبريق كلماته .. وصوت حائر لم نسمعه من قبل، لا يغرد، ولكنه ينشد موسيقى الكون المتعدد الوجوه.

نحن لا ننظر إلى أخطائه وخيالاته وتوهماته، بل ننظر إلى إبداعاته وسيولة أفكاره .. التي ربما لم تكن معبرة عن واقع الحياة في ألمانيا، قدر ما هي معبرة عن واقع فكره الخاص.

وربما يكشف التاريخ فيما بعد عن صدق ما رآه من (انقلاب القيم) بل منظومة القيم كلها، وسيطرة الأقوى، وفساد التربية والتعليم والسياسة، وقتل الإبداع، وتحطيم العبقرية بمطرقة الجهل.

فهل كان نيتشه هو دون كيشوت أوروبا الذي حارب طواحين الهواء؟ نعم ولكن طواحين الهواء كانت عنده ليست هواء بل أفكارًا تمشي على قدمين، فأراد لها أن تنحطم وأن تقطع أطرافها (الأخلاق والقيم)، وقد نجح بفكره النيتشوي في ذلك ولم يكن عبثيًا.

٧-الفيزيقا والميتافيزيقا (موقف نيتشوي)

لقد اهتم نيتشه كثيرًا بالإنسان الفيزيقي، ولذلك لم تشغله كثيرًا الميتافيزيقا بمفهومها الضيق وليس المتحرر (نظرته النقدية للدين).

ولذلك نجده أنسن كل الأشياء، فأبقى على حيويتها وتفاعلها مع الإنسان، لأنها هي نفسها الإنسان، ووجودها هو (حوار عميق) مع الإنسان، والقوة والسيطرة، و(حوار أعمق) مع الإنسان، والسلطة السياسية و(حوار مكثف) مع الأخلاق والدين.

وذلك كله من أجل أن يوجه نيتشه ضربته القاسية لكل ما هو – متواطئ الذات الإنسانية إذا كانت متواطئة مع الكذب، ولذلك نراه يرفع يديه بكل ما أوتي من قوة ليهال على رأس التقليد والخرافة، وتشوهات السياسة، والسلطة، والدين التقليدي الجامد، الذي يمنع فيضان الرؤى ومعاصرة الأفكار.

كما يسدد ضرباته القوية لمفاهيم لا تنعم بالديمومة والصيرورة في ظل متطلبات عصر لاهث متحرك إلى الأمام لمفاهيم الخير والشر والعدالة والفضيلة والسعادة، فهي عنده ليست قوالب جامدة وأنساق استاتيكية، بل تحولات لا تنقطع وعصرية محلقة.

وسؤالنا هنا ما الإلحاد الحقيقي؟

إذا كان الإلحاد الحقيقي هو إنكار وجود الله، فإن هناك إلحاد معنوي وهو في نظرنا الكفر بالإنسانية، وتزييف الحقائق، وتعاطي الكذب، وفرض غيبوبة فكرية على الناس.

٨-ديالكتيك متحرر مع مقدسات ثابتة

إذا كان هناك الثالوث المقدس والمحرم وهو الدين – السياسة – الجنس، فإنه عند نيتشه لا مقدسات تعلو فوق الديالكتيك، إذن لا جمود أمام المسيح، فالإنسان في مواجهة دائمة مع الإله بل قد يحل محله، ألم يكن هو الإنسان الأعلى؟ ألم يكن هو العلم (الترانسندنتالي)؟ إذن لا للضعف، لا للشفقة، لا للتسامح المسيحي المطلق.

أما في السياسة فلا يحكم المجتمع إلا الأقوياء. أما الضعفاء فقد خلقوا للضغينة والحسد والحقد على الأقوياء حتى وإن قال البعض إن نيتشه هو الجذر الفلسفي والسياسي لسياسة القوة والعنف والهيمنة عند هتلر وموسوليني – وفرانكو.

وها هو الرجل والمرأة والجنس أيضًا على مائدة الجدل النيتشوي. وعلى ميزان الحرية اللانهائية، وتجاربه في الحب والغرام خير دليل على ذلك.

وإذا كان نيتشه قد خرج من رحم الأم، وهو (الحياة)، فقد أعطته كل ما لديها من خبرات، كما راعاه أب هو (التفلسف) – قد راعى هذا الأب موهبة الابن .. وعاش نيتشه مولعًا بفاجنر والحس الموسيقي عاشقًا لجمال المرأة الأخاذ، مجنونًا بذكائها، محتقرًا لغبائها وبهذا أصبح قادرًا على خطف القلوب والعقول. وهذا من صميم الفعل الإبداعي.

٩- إذن ونحن نناقش أفكار نيتشه الأخلاقية يجب أن نتعدى مستواها الديالكتيكي لما هو فوقه، وأن تتعدى لغة السلب والإيجاب في النظر إليها، لنصل إلى مرجعياته الفكرية والإنسانية. ونتعدى هذا أيضًا لنصل إلى الابتكارية والإبداعية فهو دائمًا (ضد التقليدي).

وكأن نيتشه يقول لنا: تقبلوني أو عارضوني كما أنا، انظروا إليّ من فوق الأسوار، تسلقوا الجبال لتفهموا منظوري الأخلاقي وزوايا تصويري للمشهد الأخلاقي برمته، وخاصة في التقييم (السيد والعبد) وفي (هيمنة القوة).

ولكن لا تلقوا بي من فوق الجبال الشاهقة، لأنني لن أموت، لن أموت، المجنون لا يموت، لأن الأفكار المجنونة والإبداعية لن تموت .. كما أن الفلسفة لا تُصلب لأنها لن تموت فقد أنجبت الفلسفة عقولاً مجنونة إلى أقصى حد وإبداعية حتى المنتهى .. وها أنا ذا.

١٠-**وسؤالنا الآن** : هل الأخلاق عند نيتشه تتنافى مع الحس الخلقي Moral sense؟ ثم كيف يطالبنا نيتشه بالإنسان الأعلى Super man والمثل الأعلى super ideal وفي الوقت نفسه يرفض القيم رفضًا صريحًا بالأدلة العقلية والاجتماعية مثبتًا من خلال تاريخ الأفكار الأخلاقية صدق ما يقصده ويعنيه؟

الإجابة عندنا: إنه لم يرفض القيم الاجتماعية، بل رفض استاتيكية القيم الماضوية التي لم تعد جديرة بالاحترام ولم تعد متوازنة مع أطروحات الحاضر والمستقبل، ولذلك فالقوة الإنسانية عنده هي السلطة الموازية equivalent authority للألوهية، بل وهي الجديرة بالعبادة المطلقة absolute worship.

١١-**سؤال:** هل كان نيتشه يبحث عن المعنى الضائع للإنسانية، والمعنى العميق لها حين كان يبحث في القيم الأخلاقية؟

الإجابة: نعم. إن نيتشه يفضل الغوص في الأعماق بدلاً من امتداد الخطوط على استقامتها، أو تحري الدقة في المسافات فهو لا يهمه أن يسير قُدُمًا في قضايا الأخلاق أكثر من أن يتفحص معناها الدقيق وجذورها البشرية ويفضح ازدواجيتها وظاهريتها الطبيعية وصورتها الزائفة.

لذلك نراه في (هو ذا الإنسان) يقدم الذات الإنسانية المطموسة في الإنسان، ويجعل من الداخل خارجًا معلنًا عن تفصيلات ودقائق الذات، مفصحًا عن الأخلاق التشريحية بمشرط جارح ممزق للأخلاق النمطية .. إن صحت تعبيراتنا هذه.

١٢-**هل نيتشه بذلك هو مبدع للأخلاق؟**

نعم: إن الإنسان عنده منوط به خلق القيم كما يراها هو، وخلق العالم: الوعاء الطبيعي للأخلاقية، من خلال العلاقة بين الأنا والآخر، أو الذاتية والموضوعية، بتعبيرات نيتشوية تصدم الجميع لتعلن الوجود الحقيقي وليس الزائف للأشياء، ولتعلن سيادة أخلاق القوة والجبروت على أخلاق الضعف والاستكانة (إنها أخلاق ترى فرح العيون بالنصر وليس إذلال الجبين بالهزيمة والقهر).

إذن هي أخلاق ترفض عجز الإنسان، وتقبل صرخة الفرح بالانتصار. هذا هو نيتشه كما نراه.

١٣-نيتشه مرآة كاشفة وضوء كاشف

هو مرآة كاشفة تقف على التفصيلات الدقيقة، تعرينا من الداخل، وتكشف زيف المواقف الخادعة في الأخلاق (والتخفي وراء مثالية مزعومة) مثل انحيازنا للضعيف اجتماعيًا وإنسانيًا، ومثل ما في السياسة حيث يسود الغطاء الأخلاقي الزائف، وهي من الأخلاق براء.

يكشف نيتشه الغطاء، فنرى حقيقة تعالينا وسمونا الزائف وثوراتنا الوهمية .. نيتشه إذن هو الكشف، ثم الكشف عن سذاجة ادعاءاتنا بالفضيلة. أما الحقيقة فهي انحيازنا إلى طغياننا الذاتي.

نيتشه: أنكروا عليك تقسيم البشر إلى سادة وعبيد، وهم أنفسهم من يسعون جاهدين لكي يكونوا السادة بالباطل، ويمتلكون غيرهم (أي العبيد) لاستعبادهم. لقد كشفت عنهم – عزيزي نيتشه – الغطاء فأصبحوا في مواجهة الحقيقة وجهًا لوجه.

إذن معالجة فكرة الأخلاق عند نيتشه تحتاج منا إلى لحظة فارقة، لحظة اكتشاف ونور وطمس كامل للمألوف التقليدي لحظة يبتعد فيها الإنسان عن لحظته الحالية لكي يدرك لحظات أكثر وأكثر كثافة، ليس فيها من الغموض شيئًا، بل فيها ضوء كاشف.

١٤-آراء أخلاقية نيتشوية من زاوية فنية:

أفكار نيتشه هي (الانتحار الدرامي)، أفكار عانت في إخراجها للواقع معاناة قاسية، معاناة أشبه بمعاناة المخاض الأليم القاسي، نعم إنه كذلك لأنه مخاض لولادة أخلاق مبدعة تقوم على تقديس القوة، وكشف العلاقة بين الله والعبد، كما تكشف عن الإنسان الإله والقطيعة مع الإله وجوديًا وأخلاقيًا، وعود أبدي لفعل أخلاقي، وعدالة في ثوب جديد غير تقليدي.

ولذلك فإن معاناة نيتشه أنجبت في النهاية براءة – عفوية – تلقائية – أريحية.

وأخلاق نيتشه يمكن النظر إليها في (طابعها الرومانتيكي)، ولكنها رومانتيكية واقعية بمنظور نيتشوي، تتخذ شكل التمرد التلقائي النابع من ذاتية نيتشه.

١٥-أخيرًا هل ثمة مستقبل للأخلاق النيتشوية؟

أ-إذا كان الرأس في خدمة الفكرة، والإحساس في خدمة الإنسانية (على المستوى العاطفي) إذن فمرحبًا بالانقلاب الأخلاقي النيتشوي، إذا كان في صالح الفكرة والإحساس، وإذا لم يكن فعلينا إذن أن نستخرج من هذه الأخلاق أفضل ما فيها، ونناقشه، وكذلك الأسوأ، ربما يكون الأسوأ هو الأفضل فيما بعد!

ب-هل يمكن أن تسود فلسفة القوة عند نيتشه على المستوى العالمي؟

هذا السؤال أراه سؤالاً معكوسًا، إذن فالسؤال هل يمكن أن نعيش من أجل الفقراء والضعفاء في عالم غلبت عليه المادة، والقوة، والتوحش المادي، والصراع الطبقي، وسيادة فكرة (أنا ومن بعدي الطوفان)؟

إنه سؤال عن الحس الإنساني الراقي والمرهف.

جـ-إننا ضد استمرارية الإنسان الأعلى الذي يمكن أن يتحول إلى الإنسان الأدنى في حالة اكتشاف أن علو القوة ليس هو الأساس فيما يتعلق بمبادئ الأخلاق ومثالية القيم..

كذلك ربما يتحول الإنسان الأعلى إلى إنسان طفيلي زائف مراوغ يحمل قيم الخبث والكذب والالتواء والقوة المصطنعة، ويحمل في داخله الضعف الحقيقي. وقد يحدث ذلك عند غلبة قوة العقل والمنطق، والخطوات المحسوبة بدقة بعيدًا عن الانفعال والتهور فليس بالقوة وحدها يحيا البشر.

د-هل وصل نيتشه في الأخلاق إلى الهدف المنشود؟ هل امتلك المطلق؟ هل توقفت الأخلاق عن أن تكون إشكالاً على يد نيتشه؟ أم زادها نيتشه إشكالاً على إشكال؟

الإجابة: لن يمتلك نيتشه المطلق، وسوف تظل الأخلاق مادامت تتعلق بالذات الإنسانية شديدة التعقيد، والغموض، والفردانية.

الهوامش

١- بوردو، بيير: نيتشه مفتتًا – ترجمة أسامة الحاج –المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – ط١ – بيروت ١٩٩٦ – ص١١.

٢- بدوي، عبدالرحمن: نيتشه – وكالة المطبوعات – ط٥ – الكويت – ١٩٧٥ – ص٤٩.

٣- نيتشه: هو ذا الإنسان – ترجمة علي مصباح – منشورات الجمل – كولونيا –ألمانيا – د.ت – ص٢٤.

Jasper, karl: Nietzsche An Introduction to the Understanding of his Philosophical activity. Trabslated by charlesf. Wallra FF and Frederich J. Schmitz- Regnery Gate way, Inc. South Bend, Indiana. 1935. P.p. 27: 120.

- Nietzche's Development – Friends and Loneliness – Illness – The End.

4- Warbeke. John M.Friedrich NietZsche, Antichrist, super man, and Pragmatist - the Harvard Theological Review, vol, 2, No.31 Jul-1909).

- Published by: Cambridge University press on Hehalf of the Harvard divinity school on line:

htt://www.Jastor/stable/1507114:26///2013-05:47. P. 366.

ونظرياته الأصيلة جعلته يقف عند مستوى ذاته الوحيدة. فقد كان الطلبة معجبون به في البداية، ثم تركوه بعد أن عرفوا مبادئه الثورية revolutionary principles، ثم انكسر نيتشه بعدها مع أفضل أصدقائه ومن بينهم فاجنر.

ثم انكسر في صحته في سن الخامسة والثلاثين حتى موته، فلقد كان متناقضًا وعبثيًا contradictory and absurd.

Ibid: p.p. 366-367.

٥- نيتشه: هو ذا الإنسان – مصدر سابق – ص ص٢٠، ٢١.

* ولذلك كتب كلاوس كوخ، في كتابه بعنوان (أخوات لرجال شهيرين)، عن اليزابيث فورستر نيتشه التي كانت تتدخل في كتاباته ومرضه وأراءه السياسية.

انظر :

ساوتر دايك، بيتر: الإنجيل الخامس لنيتشه – ترجمة على مصباح – منشورات الجمل – كولونيا – ألمانيا – ٢٠٠٣ – ص ص٩٧، ٩٨.

٦- جين، لورانس & شين، كيتي: نيتشه – ترجمة إمام عبدالفتاح إمام – المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة – ٢٠٠٤ – ص٥.

٧- المصدر السابق، ص٢٩.

٨- عويضه، كامل محمد (إعداد): فردريك نيتشه – نبي فلسفة القوة – دار الكتب العلمية – ط١ – بيروت – ١٩٩٣ – ص١٧.

٩- جين لورانس & شين، كيتي: نيتشه – مصدر سابق – ص٨٢.

وأيضًا:

شتاينر، رودلف: نيتشه مكافحًا ضد عصره – ترجمة حسن صفر – دار الكلمة للنشر والتوزيع – ط١ – ١٩٩٨ – ص ص٣١: ٣٣.

١٠-دولوز، جيل: نيتشه – تعريب أسامة الحاج – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – ط١ – ١٩٩٨ – ص ص ١٢: ١٥.

وأيضًا:

-صفاء جعفر: محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – ١٩٩٩ – ص ص٢٤: ٣٩.

-دولوز، جيل: نيتشه – مرجع سابق – ص ص٥٧: ٥٩.

ويذكر فيه دراسات نيتشه في علم الفقه ومحاضرات ودروس وقصائد وتأليفات موسيقية.

-شتاينر، رودلف: نيتشه مكافحًا ضد عصره – مرجع سابق – ص٣١.

-warbeke: John M. Friedrich Niet ZSche, Antichrist, Superman, and pragmatist. Op. cit. p.367.

١١-نيتشه: هو ذا الإنسان – مصدر سابق – ص ص٦٥، ٦٦.

١٢-المصدر السابق : ص ص٧٣، ٧٤.

١٣-جين، لورانس & شين، كيتي: نيتشه – مصدر سابق – ص٢٨.

١٤-نيتشه: العلم المرح: ترجمة وتقديم حسان بورقيه – محمد الناحي – أفريقيا الشرق – ط١ – ١٩٩٣- ص٣٨.

15- Wesbeke, John M: Friedrich Nietzsche, Antichrist, Superman, and pragmatist. Op. cit. p. 366.

١٦-عويضة، كامل محمد (إعداد): فريدريك نيتشه – نبي فلسفة القوة – مرجع سابق – ص١٩.
١٧-بدوي، عبدالرحمن: نيتشه – مرجع سابق – ص٧٥.
١٨-جين، لورانس & شين، كيتي: نيتشه – مرجع سابق – ص٢٧.
وأيضًا:
- نيتشه: هو ذا الإنسان: مرجع سابق –ص ص ١١٩: ١٢٧.
- بودو، بيير: نيتشه مفتتًا – مرجع سابق – ص٦.
١٩-ساوتر دايك، بيتر: الإنجيل الخامس لنيتشه – مرجع سابق – ص ص٩: ٩٢.
٢٠-شتاينر، رودلف: نيتشه مكافحًا ضد عصره – مرجع سابق ١٢٤.
٢١-نيتشه: هو ذا الإنسان – مرجع سابق – ص٣١.
٢٢-المصدر السابق: ص١٨.
٢٣-المصدر السابق: ص ص٩: ١٥.
٢٤-بدوي، عبدالرحمن: نيتشه – مرجع سابق – ص٨١.
٢٥-جين، لورانس & شين كيتي: نيتشه – مرجع سابق – ص٥.
٢٦-نيتشه: هو ذا الإنسان – مرجع سابق، ص٨.
٢٧-بودرو، بيير: نيتشه مفتتًا – مرجع سابق – ص٧.
وأيضًا:
ساوترداىك، بيتر: الإنجيل الخامس لنيتشه – مرجع سابق – ص ص٦١، ٦٢.
٢٨-جين، لورانس & شين، كيتي: نيتشه – مرجع سابق – ص٥.
٢٩-بودرو، بيير: نيتشه مفتتًا – مرجع سابق – ص٤١.
٣٠-نيتشه، فريدريش: غسق الأوثان (أو كيف نتعاطى الفلسفة قرعًا بالمطرقة) – ترجمة علي مصباح – منشورات الجمل – بيروت – العراق ٢٠١٠ – ص١٧.
٣١-جين، لورانس & شين، كيتي: نيتشه – مرجع سابق – ص٥.
٣٢-المصدر السابق: ص ص٥٠، ٥١.
٣٣-المصدر السابق: الصفحات نفسها.
٣٤-عويضة، كامل محمد (إعداد): فريدريك نيتشه – نبي فلسفة القوة –مرجع سابق – ص ص٣١، ٣٢.
وأيضًا:
جعفر، صفاء: محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه – مرجع سابق – ص٣٤.
(من المؤثرات على فلسفة نيتشه المرأة والحب)

٣٥-عويضة، كامل: فريدريك نيتشه – مرجع سابق – ص١٨.
٣٦-ساوتر دايك، بيتر: الإنجيل الخامس لنيتشه – مرجع سابق – ص٥.
٣٧-نيتشه: غسق الأوثان: مصدر سابق – ص١١.
٣٨-نيتشه: العلم المرح – مصدر سابق – ص١٥٠.
٣٩-مكاوي،عبدالغفار: كن نفسك – قراءة في نصوص نيتشه النفسية – عالم الفكر – المجلد السادس عشر – العدد الرابع – يناير – فبراير – مارس – وزارة الإعلام – الكويت – ١٩٨٦ – ص١٨٣.
٤٠-نيتشه، فريدريش: غسق الأوثان – مرجع سابق – ص١٣.
٤١-جين، لورانس & شين، كيتي: نيتشه – مرجع سابق ص١٣٦.
من الملاحظ أن نيتشه كان متأثرًا بشوبنهاور في الفلسفة وفاجنر في الموسيقى.
انظر: بدوي، عبدالرحمن: نيتشه – مرجع سابق – ص ص١١، ١٢.
ومن الملاحظ أيضًا أن نيتشه كان ضد المثاليين .. الذين يقومون بتقطيع أوصال الوجود الإنساني إلى نفس وجسد، وقد أعلوا من شأن الروح والنفس والفكر، للحط من شأن الواقع الفعلي ومن شأن الجسد.
انظر: شتاينر، رودلف: نيتشه مكافحًا ضد عصره – مرجع سابق – ص٧٦.
٤٢-مونتيبلو، بيير: نيتشه وإرادة القوة – ترجمة جمال مفرح – منشورات الاختلاف –ط١-٢٠١٠-ص١١.
43- Warbeke, John M: Friedrich Neitzsch, Antichrist, Superman, and Pragmatist. Op. cit. p. 379.
٤٤-جين، لورانس & شين، كيتي: نيتشه – مرجع سابق – ص٧.
وأيضًا:
Mann, Heimrich (present by): The Living Thoughts of Nietzsche – Cassell and Company, Limited – London, Toronto, Melbourne and Sydney. P.p. 37-38.
٤٥-فيجوتسكي، ل.س: التفكير واللغة – مكتبة الأنجلو المصرية – ط٢ – مصر – ٢٠١١ – ص ص٣٥، ٨، ٩ وفيجوتسكي (ولد في بروسيا ١٨٩٦، درس الأدب في موسكو، وكان يعمل بتدريس الأدب وعلم النفس في مدينة كوميل، وأول مشروع بحثي أنجزه علم نفس الفن paschology of Art، وفي عام ١٩٢٥ اهتم بالطب وعلم النفس وخاصة علم النفس العصبي.

٤٦-المرجع السابق: ص٣٥.
٤٧-المرجع السابق: ص٧٧.
٤٨-برغسون، هنري: الطاقة الروحية - ترجمة على مقلد - مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - ط١ - ٢٠٠٩- ص١٧٤.
٤٩-معلوف، أنطوان: المدخل إلى المأساة (التراجيديا) والفلسفة المأساوية - مكتبة لبنان - ناشرون - ط١- لبنان - ٢٠٠٩-ص١.
٥٠-نيتشه: العلم المرح - مرجع سابق - ص٤٢.
٥١-نيتشه، فريدريش: في جينالوجيا الأخلاق - ترجمة المسكيني - مراجعة محمد محجوب - المركز الوطني للترجمة - د.ت. ص٣١.
٥٢-نيتشه، فريدريك: مولد التراجيديا -ترجمة شاهر حسن عبيد - دار الحوار للنشر والتوزيع - ط١ - سوريا - ٢٠٠٨ - ص١٠٠.
٥٣-طرابيشي، جورج: سيجمون فرويد - مختصر التحليل النفسي - دار الطليعة للطباعة والنشر - ط١ - بيروت - ١٩٨١ - ص ص٩، ١٠.
٥٤-نيتشه: هو ذا الإنسان: مرجع سابق - ص٧٤.
٥٥-عويضه، كامل: فردريك نيتشه - نبي فلسفة القوة -مصدر سابق - ص١٠.
٥٦-جين، لورانس: شين، كيتي: نيتشه - مرجع سابق - ص٤٦.
(*) وقد سمي هذا الكتاب (الهائم وظله) بالمسافر وظله.
٥٧-نيتشه، فريدريك: مولد التراجيديا - مصدر سابق - ص٢٤.
58- Mann, Heinrich: the living thoughts of Nietzsche. Op. cit. p.44.
٥٩-بدوي، عبدالرحمن: نيتشه - مرجع سابق - ص١.
٦٠-المرجع السابق: ص٤٠.
61- John. A. Lester, Tr: Friedrich Nietzsche and John David son: Astudy in Influence.
Source: Journal of the History of ideas. Vol. 18, No. 3 (Jun. 1957), p.p. 217: 229- published by University of Pennsylavania press.
Stable uRl: http://-wwJstor.org/stable/2707600
٦٢-نيتشه، فريدريك: إنساني مفرط في إنسانيته - جـ٢ - ترجمة محمد التاجي - أفريقيا - الشرق - المغرب - ٢٠٠٢ - ص٢١٥.

٦٣-ستاينر، رودلف: نيتشه مكافحًا ضد عصره -مصدر سابق ص٤١.
٦٤-المرجع السابق: ص٥٠.
٦٥-نيتشه: العلم المرح – مرجع سابق – ص٩١.
٦٦-بودرو، بيير: نيتشه مفتتًا – مرجع سابق – ص١١٩.
٦٧-بدوي، عبدالرحمن: نيتشه، مرجع سابق – ص ص٣٢: ٣٥.
٦٨-شتاينر، رودلف: نيتشه مكافحًا ضد عصره – مرجع سابق -ص٨.
٦٩-نيتشه، فريدريك: إنساني مفرط في إنسانيته – جـ٢ – ترجمة محمد التاجي – أفريقيا الشرق – المغرب – ٢٠٠١ – ص٢١٨.

(*) يتحدث د. يحيى الرخاوي في جدلية الجنون والإبداع، على أن الأطباء المختصون لم يستقروا على وصفه وتقسيمه إلى فئات متفق عليها، فضلاً عن تحديد أسبابه، فكيف يكون الحال عند الأديب أو الناقد والمثقف العام. إن لفظ الجنون Madness ليس هواللفظ المستعمل في اللغة العلمية الطبية، حيث أحلوا محله ألفاظًا أخرى مثل الذهان والعته Dementia ولكن مازال الاستعمال الطبي الشائع يشمل معاني الاختلاف الشديد والغربة والموت النفسي والنشوز السلوكي الخطر .. وفي الأدب يصل معنى الجنون إلى حد التضاد الجنون/ التجاوز/ الجنون/ الحلم – الجنون/ القفزة.
أما مسيرة النمو فأحد مظاهرها الإبداع، وبعض مضاعفاتها الجنون.
انظر:
الرخاوي، يحيى: جدلية الجنون والإبداع – مجلة فصول المجلد السادس – العدد الرابع – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٨٦ – ص ص٣١: ٤٦.

٧٠-دولوز، جيل: نيتشه – مرجع سابق – ص١٢٤.
٧١-المرجع السابق: ص١٢٧.
٧٢-نيتشه: العلم المرح – مرجع سابق – ص٦٥.
وأيضًا:
جعفر، صفاء: محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه – مرجع سابق – ص٣٤.
تأكيد على أن نيتشه قد عانى من (الجنون الشللي).
٧٣-ولسون، كولن: اللامنتمي – ترجمة أنيس زكي حسن – منشورات دار الآداب – ط١ – بيروت – ١٩٦٩- ص ص٥، ٦.
٧٤-نيتشه، فريدريش: في جينالوجيا الأخلاق – مصدر سابق – ص٨.
٧٥-شتاينر، رودلف: نيتشه مكافحًا ضد عصره – مرجع سابق – ص٧.

٧٦-بودرو، بيير: نيتشه مفتتًا – مرجع سابق – ص٩٧.
٧٧-نيتشه، فريدريش: غسق الأوثان – مصدر سابق – ص ص٥: ٩.
٧٨-نيتشه، فريدريك: مولد التراجيديا – مصدر سابق – ص١٨.
٧٩-مكاوي، عبدالغفار: كن نفسك – قراءة في نصوص نيتشه النفسية – مرجع سابق – ص ص١٨٤، ١٨٥.
٨٠-ستاينر، رودلف: نيتشه مكافحًا ضد عصره – مرجع سابق – ص ص١٥٧: ١٦٥.
٨١-المرجع السابق: ص ص١٨١: ١٨٩.
وأيضًا:
جين، لورانس & شين، كيتي: نيتشه – مرجع سابق – ص١٥٦.
٨٢-نيتشه، فريدريك: إنسان مفرط في إنسانيته – جـ١ – مصدرسابق – ص٣٩.
٨٣-نيتشه، فريدريك: إنسان مفرط في إنسانيته – جـ٢ – مصدر سابق – ص١٧٨.
٨٤-نيتشه، فريدريش: في جينالوجيا الأخلاق – مرجع سابق – ص٨.
85- Nietzsche, Fridriech: Twilight of the Idols. Or How to Philosophize with a Hammer- Translated with an Introduction and Notes by Duncan Large – Oxford. University press. 1998. P. xix.
٨٦-نيتشه: هو ذا الإنسان – مرجع سابق – ص ص٣٣: ٣٥.
٨٧-عويضة، كامل محمد (إعداد): فريدريك نيتشه – نبي فلسفة القوة – مرجع سابق – ص١٨.
88- Warbeke: John M: Friedrich Neitzsche, Antichrist, Superman, and pragmatist- op. cit. pp. 368-369.
٨٩-تورين، آلان: نقد الحداثة – ترجمة أنور مغيث – المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة – ١٩٩٧ – ص١٧٢.
٩٠-المرجع السابق: الصفحة نفسها.
وأيضًا: مكاوي، عبدالغفار: كن نفسك – قراءة في نصوص نيتشه النفسية – مرجع سابق – ص ص١٨٦- ١٨٩.
٩١-نيتشه، فريدريك: إنساني مفرط في إنسانيته – جـ٢ – مرجع سابق – ص٣٠.
٩٢-نيتشه: هو ذا الإنسان – مرجع سابق – ص٥٣.
٩٣-مصدر السابق: ص ص٤٢، ٤٣.

٩٤-نيتشه، فريد ريش: غسق الأوثان – مصدر سابق – ص١٥٤.
٩٥-الرخاوي، يحيى: جدلية الجنون والإبداع – مرجع سابق – ص٣٠.
٩٦-نيتشه: العلم المرح – مصدر سابق – ص٨٩.
٩٧-نيتشه، فريدريك: مولد التراجيديا –مصدر سابق – ص٣٣.
٩٨-ميوبك، د.س: موسوعة المصطلح النقدي – المفارقة وصفاتها – ترجمة عبدالواحد لؤلؤة – دار المأمون للترجمة والنشر – العراق ١٩٧٧ – ص ص١٩: ٢٥، ٤١.
وأيضًا:
Schacht, Richard: Nietzche – London and New york. P.p. 344-348.
إن العدمية Nihilism هي أكبر معدل لخفض قيمة القيم نفسها. والعدمي هو الإنسان الذي يحكم على العالم كما لو كان لا يجب وجوده.
٩٩-ميوبك، د.س: موسوعة المصطلح النقدي – المفارقة وصفاتها –مصدر السابق: ص ص٤٢: ٤٣.
١٠٠-المرجع السابق: ص ص٤٤: ٦١.
101- Mann, Heinrich (present by): The Living Thoughts of Nietzsche- op. cit. p. 93.
١٠٢-جعفر، صفاء: محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه – مرجع سابق – ص٧.
103- Hollingdole. R.T.: Nietzsche: The Man and His Philosophy – Routlede & kegan paul – London – p.p. 309: 311.
١٠٤-دولوز، جيل: نيتشه – مرجع سابق – ص ص٣٧: ٤٠.
١٠٥-المرجع السابق: ص ص٢٨: ٣١.
١٠٦-المرجع السابق: ص٩٥.
١٠٧-جعفر، صفاء: محاولة جديدة لقراءة فريد ريشن نيتشه – مرجع سابق – ص٣٦٨.
١٠٨-دولوز، جيل: نيتشه – مرجع سابق – ص ص١٠١، ١٠٢.
١٠٩-المرجع السابق: ص ص٣١: ٣٤.
وأيضًا:
- Mann, Heinrich (present by): The Living Thoughts of Nietzsche – op. cit. p. 93).
(triumph of Nihilism)
١١٠-دولوز، جيل: نيتشه والفلسفة – مرجع سابق – ص٤٧.

١١١-الشابي، نور الدين: نيتشه ونقد الحداثة – دار المعرفة للنشر – القيروان – ٢٠٠٥ – ص٣٥٦.

112- Furrow, Dwight: Ethics. Key Concepts in Philosophy – New york – 2006 – pp. 8: 19.

113- Ibid. p.p. 20: 25.

114- Ibid. p.p. 40: 49- 84: 89- 105: 107.

115- Barkawity, Peter: Nietzsche: the Ethics of an Immoralist. Harvard university press Cambridge, Mossachusett. London, England . p. 1.

وأيضًا

Schacht, Richard: Nietzche – op.cit. P.p. 14, 15.

١١٦-عنيات، عبدالكريم: نيتشه والإغريق – إشكالية أصل الفلسفة – مرجع سابق – ص١٧٠.

وأيضًا:

Mann, Heinrich: the Living Thoughts of Nietzsche. Op. cit. p. 43.

وفي هذا الجزء يأتي حديث نيتشه عن القيم والتقويم (التقدير) values and estimation.

١١٧-نيتشه: العلم المرح – مصدر سابق – ص١٢٧.

١١٨-الشابي، نور الدين: نيتشه ونقد الحداثة – مرجع سابق –ص ص ١٩٩- ٢٠٢.

١١٩-عويضة، كامل محمد (إعداد): فردريك نيتشه – نبي فلسفة القوة – مرجع سابق ص٢٧.

١٢٠-نيتشه، فريدريك: أفوق الأصنام – مصدر سابق – ص ص٥٨: ٦٣.

١٢١-بدوي، عبدالرحمن: نيتشه – مرجع سابق – ص١٦٧.

122- Asper, Patrik: Nietzsche's Sociology- Socialogical Forum. Vol. 22 No 4. Des. 2007. Published by: springer: http.//ww Jstor.org1 stable/2011022g- on line 25////2013. 5:52.p.p.430-490: 493.

123- Warbeke, John M: Fridrich Nietzsche: Antichrist, superman, and Pragmatist. Op. cit. p. p. 381: 382.

١٢٤-نيتشه: هو ذا الإنسان – مرجع سابق – ص٧٥.

١٢٥-نيتشه: فريدريتش: في جينالوجيا الأخلاق – مرجع سابق – ص ص٤٣، ٤٤.
١٢٦-نيتشه: هو ذا الإنسان – مرجع سابق – ص٩.
١٢٧-بدوي، عبدالرحمن: نيتشه – مرجع سابق – ص٢٠.
وأيضًا:

- Asper, Patrik: Nietzsche Soiology Ssociological Forum – op. cit. p.p. 481, 482.

حيث يأتي الحديث فيه عن بزوغ القيم عند نيتشه.

The Emergemcy of Value.

-Mann, Heinrich: The Living Thoughts of Nietzsche- op. cit. p. 19.

128- Warbeke, John M: Friedrich Nietzsche: Antichrist, superman, and Pragmatist- op. cit. p. 368.

129- Berkawitz, peter: Nietzsche: the Ethics of an immoralist- op. cit. p. 67.

وأيضًا:

نيتشه: هو ذا الإنسان – مرجع سابق – ص١٣٥.

- Berkawitz, peter: Nietzsche: The Ethics of an Immoralist. Op. cit. p. 69: 99.

١٣٠-دولوز، جيل: نيتشه والفلسفة – مرجع سابق –ص٤٢.

أما عن الأسباب فهي:

١- زرادشت كنبي للعودة الدائمة.

٢- السبب الثاني (سجالي) أنه أول مبدأ أدخل الأخلاق في الميتافيزيقا وجعل من الأخلاق قوة وهدف بامتياز.

٣- هو مرتد إلى الماضي، ولكنه كاف لوحده.

131- Mann, Heinrich: The Living Thoughtsof Nietzsche – op. cit. p.44.

١٣٢-جين، لورانس، شين، كيتي: نيتشه – مرجع سابق – ص٣٧.

133- Brekawitz, peter: Nietzsche: The Ethics of an Immoralist – op. cit. pp. 44: 63.

١٣٤-جين، لورانس & شين، كيتي: نيتشه – مرجع سابق – ص١٧.

١٣٥-المرجع السابق: ص ص ١٧، ٢١.
١٣٦-نيتشه، فريد ريش: نقيض المسيح – مقال اللعنة على المسيحية – ترجمة علي مصباح – منشورات الجمل – ط١ – بيروت – بغداد – ٢٠١١ – ص٣٩.
١٣٧-تورين، آلان: نقد الحداثة – مرجع سابق – ص١٥١.
١٣٨-نيتشه: هذا هو الإنسان – مرجع سابق – ص ص١٧، ١٨.
139- Nietzsche, Friedrich: Twilight of the Idols-or How to Philosophize with a Hammer. Op. cit. p.p. xi: xiii.
١٤٠-دولوز، جيل: نيتشه والفلسفة – مرجع سابق ص ص٥: ٧.
١٤١-نيتشه: هو ذا الإنسان – مصدر سابق – ص١٠٦.
١٤٢-عويضة، كامل (إعداد): فردريك نيتشه – نبي فلسفة القوة – مرجع سابق – ص٢٥.
١٤٣-جين، لورانس & شين كيتي: نيتشه – مرجع سابق – ص٣٠.
وأيضًا:
-Mann, Heinrich: The Living Thoughts of Nietzsche – op. cit. p. 43.
144- Ibid. p. 89.
145- Nietzsche, Friedrich: Twilight of the Idols- or How to Philosophize with a hammer – op. cit. p. 21.
وأيضًا:
نيتشه، فريدريك: إنساني مفرط في إنسانيته – جـ١- مرجع سابق – ص٥٠.
146- Berkawitze, Peter: Nietzsche: The Ethics of an Immoralist. Op. cit. p. 13.
١٤٧-عنيات، عبدالكريم: نيتشه والإغريق – إشكالية أصل الفلسفة – مرجع سابق – ص ص٦١: ٦٣.
١٤٨-بدوي، عبدالرحمن: نيتشه – مرجع سابق – ص٢٠٠.
١٤٩-نيتشه: هو ذا الإنسان – مصدر سابق – ص٩١.
١٥٠-نيتشه، فريدريك: إنساني مفرط في إنسانتيه – جـ٢ – مصدر سابق – ص١٢٣.
وأيضًا:
شتاينر، رودلف: نيتشه مكافحًا ضد عصره – مرجع سابق – ص١٠٦.
١٥١-نيتشه: هو ذا الإنسان – مصدر سابق – ص٨.

١٥٢-المصدر السابق: الصفحة نفسها.
١٥٣-دولز، جبل: نيتشه والفلسفة – مرجع سابق – ص ص١٢، ١٣.
١٥٤-المرجع السابق – ص ص٥٨: ٦٠.
١٥٥-المرجع السابق: الصفحات نفسها.
١٥٦-عويضة، كامل محمد (إعداد): فردريك نيتشه – نبي فلسفة القوة – مرجع سابق – ص٥.
١٥٧-المرجع السابق: ص٤.
وأيضًا:
شتاينر، رودلف: نيتشه مكافحًا ضد عصره – مرجع سابق – ص ص١١٢: ١١٦.
١٥٨-نيتشه، فريدريك: نقيض المسيح – مقال اللعنة على المسيحية – مرجع سابق – ص٢٧.
١٥٩-دولز، جيل: نيتشه والفلسفة – مرجع سابق – ص١٥.
١٦٠-المرجع السابق – ص٥٤.
١٦١-تورين، آلان: نقد الحداثة – مرجع سابق – ص١٦٢.
وأيضًا:
نيتشه : العلم المرح – مصدر سابق – ص ص٥٣، ٥٤.
162-Mann, Heinrich: The Thoughts of Nietzsche. Op. cit. p.19.
١٦٣-نيتشه، فريدريش: في جينالوجيا الأخلاق – مرجع سابق – ص ص٥٧، ٥٨.
١٦٤-عويضه، كامل محمد (إعداد): فردريك نيتشه – نبي فلسفة القوة – مرجع سابق – ص١٩.
- Jasper, karl: Nietzsche, an Introduction to the Understanding of his Philosophical activity. op.cit. P.p. 164-165.
- Schacht, Richard: Nietzche – op.cit. P.p. 341-344.
١٦٥-عنيات، عبدالكريم: نيتشه والإغريق (إشكالية أصل الفلسفة) – مرجع سابق – ص ص ٢٩: ٣١.
وأيضًا:
جعفر، صفاء: محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه – مرجع سابق – ص٨.
١٦٦-دولز، جيل: نيتشه – مرجع سابق – ص ص١٢٠: ١٢٣.
وأيضًا:

جين، لورانس & جين، كيتي: نيتشه – مرجع سابق – ص ص٨٢: ٨٩، ١١٩.

١٦٧–عويضة، كامل (إعداد) – فريدريك نيتشه – نبي فلسفة القوة – مرجع سابق – ص ص٣٤، ٣٥.

١٦٨–المرجع السابق: ص ص٣٠، ٣١.

١٦٩–عوض، رمسيس: ملحدون محدثون ومعاصرون – سينا للنشر – مؤسسة الانتشار العربي – ط١ – بيروت – القاهرة – ١٩٩٨ – ص٢٢.

١٧٠–شتاينر، رودلف: نيتشه مكافحًا ضد عصره – مرجع سابق – ص ص٦٥: ٦٩.

موت الإله + إرادة مثبتة + قوة فاعلة = الإنسان الأرقى.

موت الإله + إرادة اقتدار نافية + قوة ارتكاسية = الإنسان الأخير.

موت الإله + إرادة اقتدار نافية + قوة فاعلة = الإنسان المتفوق.

انظر: الشابي، نور الدين: نيتشه ونقد الحداثة – مرجع سابق ص ص٣٧٢، ٣٧٣.

171–Warbeke, John M: Friedrich Nietzsche: Antichrist, superman, and pragmatist, op. cit. pp. 370: 375.

١٧٢–عويضة، كامل محمد (إعداد): فردريك نيتشه – نبي فلسفة القوة – مرجع سابق – ص٢٣.

١٧٣–المرجع السابق: ص٢٥.

وأيضًا:

Asper, patrik: Nietzsche's Sociology– Sociological Farum – op. cit. p. 485.

- بدوي، عبدالرحمن: نيتشه – مرجع سابق – ص ص١٧٢، ٢٢٩: ٢٣٢.

١٧٤–عويضة، كامل (إعداد) فريدريك نيتشه – نبي فلسفة القوة –مصدر سابق – ص٣٠.

وأيضًا:

Berkawit, Peler: Nietzsche: The Ethics of an Immoralisty– op. cit. pp. 71: 80.

١٧٥–بدوي، عبدالرحمن: نيتشه – مرجع سابق – ص١٦٥.

١٧٦–عوض، رمسيس: ملحدون محدثون ومعاصرون – مرجع سابق – ص٢٣.

١٧٧–نيتشه، فردريك: أصل الأخلاق وفصلها – مصدر سابق– ص٣٨.

وأيضًا:

بدوي، عبدالرحمن: نيتشه – مرجع سابق – ص ص١٧٨: ١٨١.

١٧٨-نيتشه، فريدريتش: في جينالوجيا الأخلاق – مصدر سابق – ص٨.

١٧٩-جعفر، صفاء: محاولة جديدة لقراءة فريدريتش نيتشه – مرجع سابق –ص ص ٢٨٢: ٢٨٦.

١٨٠-مصدر السابق: ص ص٢٨٦: ٢٩١.

وأيضًا:

- عويضة، كامل (إعداد): فريدريك نيتشه – نبي فلسفة القوة – مرجع سابق – ص٢٣.
- نيتشه، فريدريش: حضم المسيح – مقال اللعنة على المسيحية – مصدر سابق – ص٩.

181- Hallingdale. R.J: Nietzsche- The Man and His Philosophy op. cit. p. 313.

١٨٢-جين، لورانس & شين، كيتي: نيتشه – مرجع سابق – ص٤٨.

وأيضًا:

دولوز، جيل: نيتشه والفلسفة – مرجع سابق –ص ص٣٩: ٤١.

١٨٣-بدوي، عبدالرحمن: نيتشه – مرجع سابق – ص ص٢٤٨: ٢٥٣.

184- Furrow, Dwight: Ethics. Key Concepts in Philosophy – op. cit. p. 156.

185- Ibid. p. 156.

186- Ibid. p.p. 155: 169.

١٨٧-بدوي، عبدالرحمن: نيتشه – مرجع سابق – ص٢١٥.

١٨٨-نيتشه، فريدريش: غسق الأوثان (أو كيف نتعاطى الفلسفة قرعًا بالمطرقة) – مصدر سابق ص١٤٥.

Jasper, karl: Nietzsche An Introduction to The Understanding of His Philosophical Activity. P.p. 139: 140.

١٨٩-عويضة، كامل محمد (إعداد) – فريدريك نيتشه – نبي فلسفة القوة – مرجع سابق – ص١٨.

وأيضًا:

مونتيبلو، بيير: نيتشه وإرادة القوة – مرجع سابق – ص ص٤٨: ٥٠.

١٩٠-المرجع السابق: ص٦٥.

١٩١-المرجع السابق: ص٨٠.
١٩٢-المرجع السابق: ص١١٢.
١٩٣-شتاينر، رودلف: نيتشه مكافحًا ضد عصره – مرجع سابق – ص١٠٢.
١٩٤-بدوي، عبدالرحمن: نيتشه – مرجع سابق – ص٢٦٥.
195- Mann, Heinrich (presented by): The Living Thoughts of Nietzsche- op. cit. p.21.
196- Ibid. p. 20.
١٩٧-نيتشه: هو ذا الإنسان – مرجع سابق – ص ص٧٧، ٧٨.
١٩٨-نيتشه، فريد ريش: غسق الأوثان – مرجع سابق – ص١٥.
199- Furrow, Dwight: Ethics Key Concept in Philosophy – op. cit. p. 103.
٢٠٠-نيتشه، فريدريش: حضم المسيح – مصدر سابق – ص٢٦.
٢٠١-بودو، بيير: نيتشه مفتتًا – مصدر سابق – ص ص٦٥: ٧٣.
٢٠٢-نيتشه، فريدريك: أصل الأخلاق وفصلها – مصدر سابق – ص١١، ١٢.
٢٠٣-بدوي، عبدالرحمن: نيتشه – مرجع سابق – ص ص٢١٥: ٢١٩.
٢٠٤-عويضة، كامل محمد (إعداد): فريدريك نيتشه – نبي فلسفة القوة – مرجع سابق – ص٥.
٢٠٥-بدوي، عبدالرحمن: نيتشه – مرجع سابق – ص ص١٦١: ١٦٣.
٢٠٦-عويضة، كامل محمد (إعداد): فريدريك نيتشه – نبي فلسفة القوة – مرجع سابق – ص٢٩.
207- Berkawitz, Peter- Nietzsche: The Ethics of An Immoralist – op. cit. p. p. 13: 21.
٢٠٨-عوض، رمسيس: ملحدون محدثون ومعاصرون – مرجع سابق – ص٢٠.
٢٠٩-نيتشه، فريدريك: إنسان مفرط في إنسانيته – جـ١ – مصدر سابق – ص٦٧.
٢١٠-مصدر السابق : ص ص٦٠، ٦١.
211- Berkawitz, peter: Nietzsche: The Ethics of An Immoralsit- op. cit 83-84.
٢١٢-نيتشه، فريد ريك: إنسان مفرط في إنسانيته – جـ١ – مرجع سابق – ص٥٥.
وأيضًا:

Farrow, Dwight: Ethics. Key Concepts in Philosophy- op. cit. p.p. 63: 69-

An Ethics of Justice.

213- Asper, Patrik: NietzSche's Sociology- Socialogical Forum. Op. cit. p.p. 486, 487.

٢١٤-نيتشه، فريدريك: أصل الأخلاق وفصلها – مصدر سابق – ص٦٨.

٢١٥-نيتشه: هو ذا الإنسان – مرجع سابق – ص ص٢٦، ٢٧.

٢١٦-عويضة، كامل محمد (إعداد) – فريدريك نيتشه – نبي فلسفة القوة – مرجع سابق – ص٢٦.

٢١٧-نيتشه، فريدريك: إنسان مفرط في إنسانيته – جـ١ – مصدر سابق – ص١٧١.

٢١٨-نيتشه، فريدريك: إنسان مفرط في إنسانيته- جـ٢ – مصدر سابق – ص٢٨.

٢١٩-نيتشه، فريدريك: أصل الأخلاق وفصلها – مصدر سابق – ص١٣.

وأيضًا:

جعفر، صفاء: محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه – مصدر سابق – ص ص٣٤٠، ٣٤١.

٢٢٠-نيتشه، فريدريش: غسق الأوثان -مصدر سابق – ص١٥.

٢٢١-الشابي، نور الدين: نيتشه ونقد الحداثة – مرجع سابق – ص٢٢٦.

وأيضًا:

دولز، جيل: نيتشه والفلسفة – مرجع سابق – ص١٠٧.

٢٢٢-نيتشه، فريد ريش: غسق الأوثان (أو كيف نتعاطى الفلسفة قرعًا بالمطرقة) – مصدر سابق – ص١٨.

٢٢٣-عويضة، كامل (إعداد): فردريك نيتشه – نبي فلسفة القوة -مصدر سابق – ص٩.

٢٢٤-المرجع السابق: ص ص٨، ٩.

٢٢٥-نيتشه، فريدريش: غسق الأوثان – مصدر سابق – ص١٢.

٢٢٦-تورين، آلان: نقد الحداثة – مرجع سابق – ص١٥١.

227- Warbeke, John M:Fridrich Nietzsche: Antichrist, superman, and Pragmatist op. cit. p.p. 369-370.

وأيضًا:

دولوز، جيل: نيتشه – مرجع سابق – ص٩٦.

228- Mann, Heinrich: The Living Thoughts of Nietzsche- op. cit. p.p. 109: 113.

وأيضًا:

مونتيلبو، بيير: نيتشه وإرادة القوة – مرجع سابق – ص ص٢٠، ٢١.

٢٢٩-عوض، رمسيس – ملحدون محدثون ومعاصرون – مرجع سابق – ص٢٥.

٢٣٠-عنيات، عبدالكريم: نيتشه والإغريق – إشكالية أصل الفلسفة – مرجع سابق – ص ص١٣٤، ١٣٥.

231- Mann, Heinrich: The Living Thoughts of Nietzsche, op. cit. p.19.

٢٣٢-جعفر، صفاء: محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه – مرجع سابق – ص ص٣٥٤، ٣٧١.

٢٣٣-دولز، جيل: نيتشه والفلسفة – مرجع سابق – ص٤٨.

٢٣٤-نيتشه: هو ذا الإنسان – مصدر سابق – ص ص٨١، ٣٣.

٢٣٥-نيتشه، فريدريش: حضم المسيح – مقال اللعنة على المسيحية -مصدر سابق – ص٢٨.

وأيضًا:

Jasper, karl: Nietzsche An Introduction to the Understanding of his Philosophical Activity. Op. cit. p.p. 125-126.

٢٣٦-نيتشه، فريدريك: إنسان مفرط في إنسانيته – جـ١ – مرجع سابق – ص٧٩.

وأيضًا:

شتاينر، رودلف: نيتشه مكافحًا ضد عصره – مرجع سابق – ص١٥٣.

٢٣٧-عوض، رمسيس: ملحدون محدثون ومعاصرون – مرجع سابق – ص ص٢٢، ٢٣.

٢٣٨-نيتشه: العلم المرح – مصدر سابق – ص ص١٣٥، ٢١٣، ٢١٤.

٢٣٩-جين، لورانس & شين، كيتي: نيتشه – مرجع سابق – ص٢٥.

٢٤٠-دولز، جيل: نيتشه والفلسفة – مرجع سابق – ص ص٢٢: ٢٤.

٢٤١-ولسون، كولن: اللامنتمي – مصدر سابق – ص ص١٤٣، ١٤٤.

٢٤٢-جعفر، صفاء: محاولة جديدة لقراءة نيتشه – مرجع سابق – ص٤٠، ٤١.

٢٤٣-المرجع السابق: ص ص٣٣٨، ٣٤٧: ٣٥١.

٢٤٤-نيتشه، فريدريش: حضم المسيح – مقال اللعنة على المسيحية – مرجع سابق – ص ص٥: ١٥.

وأيضًا:

- Hallingdale, R.J: Nietzsche: The Man and His Philosophy – op. cit. pp. 292-299- 300.

٢٤٥-دولوز، جيل: نيتشه – مرجع سابق – ص٤٩.

246- Warbeke, John.M: Friedrich Nietzsche: Antichrist, superman and Pragmatist, p. 369.

(*) وهنا يبدو لنا بوضوح أهمية الجانب السيكولوجي وعلاقته بالميتافيزيقا.

٢٤٧-نيتشه – فريدريش: حضم المسيح – مقال اللعنة على المسيحية – مرجع سابق – ص٣٣.

٢٤٨-الشابي، نور الدين: نيتشه ونقد الحداثة – مرجع سابق – ص١٩٣.

249- Berkowitz, Peter: Nietzsche: The Ethics of An Immoralist – op. cit. p.p. 8: 10.

٢٥٠-جين، لورانس & شين، كيتي: نيتشه – مرجع سابق – ص٣٤.

٢٥١-نيتشه: هو ذا الإنسان – مرجع سابق – ص٤٧.

Jasper, karl: Nietzsch An Introduction to the Understanding of his Philosophical Activity. Op. cit. p.p. 437: 441.

٢٥٢-المرجع السابق: ص٣٨.

٢٥٣-جين، لورانس & شين، كيتي: نيتشه – مرجع سابق – ص١٣.

(*) ودليل ذلك عندنا هو كتابه العلم المرح (المعرفة المرحة)، ونيتشه أراد أن يتجاوز الحياة بحياة والأخلاق بأخلاق يراها هو أنها المؤهلة بالاستمرارية، كما أنه أنكر الحياة بالتأكيد على وجودها بطريقة ترانسندنتالية.

٢٥٤-عوض، رمسيس: ملحدون محدثون ومعاصرون – مرجع سابق – ص٢٠.

وأيضًا:

Schacht, Richard: Nietzsche – op.cit. P.457.

٢٥٥-دولوز، جيل: نيتشه والفلسفة – مرجع سابق – ص٨.

٢٥٦-المصدر السابق: ص ص٨، ٩.

٢٥٧-جعفر، صفاء: محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه – مرجع سابق – ص٣٧١.

وأيضًا:

- Berkaiwtz, Peter: Nietzsche: the Ethics of An Immoralist op. cit. p.p. 2: 5.

- حيث تظهر العلاقة بوضوح بين الدين والفضيلة والطبيعة كما يبدو التمييز بين العدالة والظلم والنبيل والمعيب Noble and shameful والجيد والسيء.

٢٥٨-نيتشه، فريدريش: حضم المسيح – مقال اللعنة على المسيحية – مصدر سابق – ص٤٣.

٢٥٩-عويضة، كامل (إعداد) فريدريك نيتشه – نبي فلسفة القوة – مرجع سابق – ص١٧.

٢٦٠-نيتشه، فريدريش: غسق الأوثان – مصدر سابق – ص ص٦١: ٧٠.

٢٦١-نيتشه: هو ذا الإنسان – مرجع سابق – ص٣٧.

٢٦٢-نيتشه، فريدريش: حضم المسيح – مقال اللعنة على المسيحية – مصدر سابق – ص١٤٨.

وأيضًا:

نيتشه، فريدريك: أفول الأصنام – مصدر سابق – ص ص٤٠: ٤٣.

٢٦٣-عويضة، كامل (إعداد): فردريك نيتشه –نبي فلسفة القوة – مرجع سابق – ص٢٦.

٢٦٤-نيتشه، فريدريش: حضم المسيح – مقال اللعنة على المسيحية – مصدر سابق – ص٣٠.

٢٦٥-المرجع السابق: ص٩٦.

وأيضًا:

نيتشه، فريدريك: إنساني مفرط في إنسانيته – جـ٢ – مرجع سابق – ص١٤٦.

٢٦٦-نيتشه، فريدريش: حضم المسيح –مقال اللعنة على المسيحية – مصدر سابق – ص١٥١.

٢٦٧-نيتشه، فريدريك: إنساني مفرط في إنسانيته – جـ٢ – مصدر سابق – ص٣٣.

٢٦٨-نيتشه، فريدريش: غسق الأوثان – مصدر سابق – ص٥٤.

٢٦٩-نيتشه، فريدريك: إنساني مفرط في إنسانيته – جـ٢ – مصدر سابق – ص٣٢.

٢٧٠-نيتشه، فريدريش: غسق الأوثان – مصدر سابق – ص١٣٤.

٢٧١-تورين، آلان: نقد الحداثة – مصدر سابق – ص١٥٥.

- Jasper, karl: Nietzsche An Introduction to The Understanding of His Philosophical Activity. oP.cit. p.160.

٢٧٢-عويضة، كامل (إعداد) فردريك نيتشه -نبي فلسفة القوة - مرجع سابق - ص ص٦: ٨.

٢٧٣-عوض، رمسيس: ملحدون محدثون ومعاصرون - مرجع سابق - ص٢١.

- Jasper, karl: Nietzsche An Introduction to the Understanding of His Philosophical Activity. Op.cit. P.p. 255-256.

٢٧٤-عنيات، عبدالكريم: نيتشه والإغريق - إشكالية أصل الفلسفة - مرجع سابق - ص٤٩.

275- Asper, Patrik: Nietzsche's Sociology – Sociological Forum. Op. cit. p. 474.

276- Ibid – p. 474: 476.

277- Berkowitz, Peter: Nietzsche: The Ethics of Immoralisty – op. cit. p.p. 38-39.

278- Ibid: p.p. 1-2.

279- Ibid: p.p. 1-2.

280- Abbey, Ruth & App.L: Friedrich Nietzche and The Will to Politics – The Review of Politics. Vol. 60- No.1. Winter, 1998. P.p. 85: 87. Published by: Cambridge University press for the University of Notre Dame behalf of review of politics. On line: htt://www, Jastor. Org/stable//408331-25-11-2013-5.54.

281- Warbeke, John M: Friedrich Nietzche: Antichrist, Superman, and pragmatist- op. cit. p. 368.

282- Mann, Heinrich, The Living Thoughts of Nietzsche- op. cit. p.p. 88-89.

٢٨٣-جين، لورانس & شين، كيتي نيتشه: نبي فلسفة القوة - مرجع سابق - ص١١٠.

(*) السؤال هل تحدث نيتشه عن الأخلاق السياسية بشكل واضح أي عن أخلاق الحاكم ونوازعه الداخلية وقوة الضمير عنده على الإتيان بالصواب والحق طواعية، أم كان الاستناد الوحيد عنده هو القوانين واللوائح فقط غير مستلهمًا لروح الأشياء والسند الأخلاقي لها؟

لقد تحدث نيتشه عن الجانب الفيزيقي للتجربة السياسية (إن صح التعبير) من زاويتي الحرية والسلطوية، ولم يتحدث عن الجانب الخفي والمكمل للتجربة السياسية، والذي يجب توافره في التجربة السياسية، وهو الضمير السياسي، ومبدأ العدالة المطبقة فعليًا، وبشكل تام غير منقوصة. فالسياسة النيتشوية قائمة على الصراع الناجم عن غياب العدالة – من وجهة نظرنا – إلى جانب إماتة الضمير، ووضع مصلحة الفرد الواحد (الحاكم) في مقابل مصلحة الآخرين..

وإن كان ثمة صراع في السياسة، فلا يجب أن يكون صراع الوجود stugggle of existence، بل الاختلاف الودي peaceful difference وهذا هو المعنى الصريح لعبارة (الاختلاف لا يفسد للود قضية)، واليوم أصبح الاختلاف في الرأي يفسد كل قضايا الود، وقد يؤدي إلى الاعتقال، أو القتل، أو التصفية المعنوية – للأسف الشديد..

٢٨٤–المرجع السابق: ص ص٧١: ٧٣.

285– Abbey, Ruth & Appe.L: Friedrich Nietzsche and The Will to Politics– The Review of Politics – op. cit. p. 83.

286– Ibid – p.p. 90–91–88.

287– Nietzsche, Fridrich: Twilight of the Idols or, How to Philosophize with a Hammer – op. cit. p. xxiii.

288– Mann, Heinrich: The Living Thoughts of Nietzsche– op. cit. p. 41.

٢٨٩–عويضة، كامل محمد (إعداد): فردريك نيتشه – نبي فلسفة القوة – مرجع سابق – ص٣٨.

290– Warbeke, John M: Friedrich Nietzsche. Antichrist, Superman, and Pragmatist – op. cit. p.p. 376: 378.

291– Abbey, Ruth & Appe.L. Fredrich Nietzche and The Will to Politics. The Review of Politics. Op. cit. pp. 106: 110.

٢٩٢–نيتشه، فريدريك: إنساني مفرط في إنسانيته – جـ١ –مصدر سابق – ص ص٢٠٥: ٢٠٨.

٢٩٣–عويضه، كامل محمد (إعداد): فردريك نيتشه – نبي فلسفة القوة – مرجع سابق – ص ص٤٠، ٤١.

وأيضًا:

نيتشه، فريد ريش: في جينالوجيا الأخلاق – مرجع سابق – ص١٠٢.

وأيضًا:

Jasper, karl: Nietzsche An Introduction to the Understanding of His Philosophical Activity – op. cit. p.p. 262: 264.

٢٩٤-عويضة، كامل محمد (إعداد): فريد ريك نيتشه – نبي فلسفة القوة – مرجع سابق – ص ص٣٥: ٣٨.

٢٩٥-بدوي، عبدالرحمن: نيتشه – مرجع سابق – ص٢٢٨.

٢٩٦-عويضه، محمد كامل (إعداد): فريدريك نيتشه – نبي فلسفة القوة – مرجع سابق – ص ص١٢، ١٣.

وأيضًا:

- Magnus, Bernd & M. Higgns. Kathleen: Nietzsche- Cambridge university – press, 1996 – p.p. 70-71.
- وفي هذا الكتاب يأتي الحديث عن نيتشه وهل كان سببًا في الحرب، كما يقال عنه أنه فيلسوف الرمح الحر free lance philosopher.

297-Abbey, Ruth. & Appe, L. Freidrich Nietzche and the Will to Politics - The Review of Politics- op. cit. p.p. 84-85.

وأيضًا:

- Magnus, Bernd & M. Higgns. Kathleen: Nietzsche- op.cit. p.p. 119-120-124: 129.

298-Abbey, Ruth. & Appe, L. Friedrich Nietzch and the Will to Politics- The Review of Politics- op. cit. p.p. 83-95: 99.

(*) السياسة – الجمال – الشكل الهندسي المتناغم – السياسة والتربية والتهذيب – السياسة والحقيقي دون الزائف – السياسة وسعة الأفق – السياسة ومعارضة جمود الرؤية السياسية (ضد وضع السم في العسل) ضد الديمقراطية المغشوشة، ألا يدل كل ذلك على انقلاب قيمي في السياسة النيتشوية؟

ألا يدل ذلك على انفتاح إبداعي سياسي يتواصل مع إبداعي جمالي حر طليق خلاق عابر لكل الحواجز، متمسك بالجنون، لأنه الإبداع، مضحيًا بالعقل، لأنه القولبة والنمذجة الممقوتة .. **إنه نيتشه.**

299-Ibid : p.p. 111: 113.

300-Ibid: p.p. 92-93.